الجمهورية اليمنية
جامعة العلوم والتكنولوجيا
كلية العلوم الإدارية والإنسانية
لغة عربية

مشروع

خطة بحث تخرج

بعنوان:

ابن جني وجهوده اللغوية والنحوية

إعداد
الطالب/ سليمان سالم علي باقشع
الرقم الجامعي: ٢٠٠٦١٧١٠١

إشراف
الدكتور/عبد الغني حيدر

العام الجامعي ٢٠٠٩/٢٠١٠م

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين وإمام المرسلين، أنــزل عليــه ربه القرآن الكريم، بلسان عربي مبين وعلى آله وصحبه الذين نصبوا أنفسهم للدفاع عن بيضــة الدين، حتى رفع الله بهم مناره المبين.

وبعد:

فإن اللغة العربية من أشرف اللغات وأعلاها مكانة فبها نزل القرآن الكريم الذي زاد مــن رفعتها وانتشارها في العالم الإسلامي وغير الإسلامي، حيث صارت لغة التواصــل والحــوار، ولغة العلم والتفكير، وما تعدد لهجاتها وترادف ألفاظها إلا دليلاً علــى ســعتها. فقــد عربــت، وترجمت إليها العلوم والآداب الإغريقية، والفارسية، والرومانية، وأصبحت لغة الحديث الرسمية في جميع أنحا العالم، ولقد أرسى قواعد هذه اللغة علماء أجلاء تفرغوا للغوص في أعماقها مــن أجل الحفاظ عليها، ورفع صرحها، ومن بين هؤلاء العلماء، العالم الفذ أبو الفتح عثمان بن جني، الذي سيكون موضوع هذا البحث من خلال اختياري لعنــوان «ابــن جنــي وجهــوده اللغويــة والنحوية» ليكون عنواناً لبحث التخرج للحصول على درجة البكالوريوس، وذلك لمــا لــه مــن مكانة وجهود جبارة في إرساء قواعد هذه اللغة من خلال مصنفاته، ومؤلفاته القيمة فــي جميــع فروع اللغة العربية، من نحو، وصرف، وأدب، وبلاغة، وسيدرس هذا البحث، حياة ابــن جنــي من خلال التعرف على نسبه، ومولده، وعصره، ونشأته، وأساتذته، وتلاميذه، وأهــم المــؤثرات التي أثرت في حياته العلمية. وكذلك مذاهبه الدينية والعلمية، ومكانته بين العلماء، وأهم مؤلفاتــه التي أثرى بها علوم العربية، ومن ثم سوف أتطرق إلى أهم المسائل التي عالجها ابن جني فــي مؤلفاته، وما هي المسائل التي تفرد بها بآراء خاصة، وما هي المسائل التي تــابع مــن خلالهــا جهود سابقيه، وأهم ملاحظاته وآرائه فيها، وذلك من خلال مؤلفاته ومصنفاته في شــتى علــوم العربية، وكذلك من خلال ما كتب الآخرون عنه، سائل من الله العلي القدير أن يوفقني إلى ذلك، والإحاطة بأهم ما أفاد به العربية في حياته الحافلة بالعلم والمعرفة.

والله الموفق.

سبب اختيار الباحث لهذا الموضوع:ــ

يعود سبب اختيار الموضوع إلى ما يلي:ــ

١) الرغبة في خدمة اللغة العربية.

٢) الرغبة في الإحاطة والإلمام بكل ما كتب عن هذا العالم الفذ، وكذلك أهم مؤلفاته.

٣) إعطاء هذا العالم جزء من اهتمامنا عرفاناً بما قدمه للعربية من خدمة جليلة، من أجل الرفع من شأنها بين لغات العالم، وإثرائها بشتى أنواع المعرفة.

٤) قلة الأبحاث في هذا الموضوع.

تحديد مشكلة البحث:ــ

سوف أبدأ في بحثي هذا «ابن جني وجهوده اللغوية والنحوية» بتقديم نبذه عن حياة هذا العالم الجليل، من خلال التعرف على نسبه، ومولده، ونشأته، وحياته العلمية، وأساتذته الذي تأثر بهم، وتلاميذه الذين تأثروا به، ومذاهبه الدينية والنحوية، وأهم ما قال عنه معاصروه، وكذلك أهم ما كتب عنه، كما إنني سأعرض أهم المؤلفات، والمصنفات، التي أسهم بها في إثراء علوم اللغة، وجهوده الجبارة في تقديم شتى أنواع المعارف اللغوية، والنحوية، لدارسي اللغة العربية. وبما إن المسائل والأبواب التي تطرق لها أبو الفتح عثمان بن جني، وأدلى فيها بدلوه، لا يتسع المقام في هذا البحث للإحاطة بها، فإنني سأقتصر في بحثي هذا على أهمها، ومن ذلك الصوتيات عند ابن جني، وأنظمة وأدلة النحو كالسماع، والقياس، والتعليل، والإعراب، والاشتقاق، وعلل التثنية، وغير ذلك من المسائل التي تطرق إليها ابن جني في مؤلفاته.

أهداف البحث:ــ

١) التمرس في البحث العلمي المنهجي.

٢) تقديم نبذه تاريخيه عن حياة ابن جني.

٣) التعرف والاطلاع على مؤلفات ابن جني، التي أسهم من خلالها في إثراء اللغة العربية بالعديد من الآراء، والمعارف الغوية.

٤) الإشارة إلى أهم المسائل التي أولاها ابن جني جلّ اهتماماته.

أهمية البحث:ـــ

إن أهمية هذا البحث تكمن في أهمية الثروة العلمية، واللغوية، التي خلفها لنا عالم اللغة أبو الفتح عثمان بن جني. فقد أفاد ابن جني اللغة العربية بالكم الهائل من المصنفات القيمة، التـــي لا يستغني عنها اللغويون في حياتهم. لذا فإن الحديث عن ابن جني، والتعريف به، ومعرفة ما ألفـــه في مجال اللغة، والأبواب التي طرقها في هذا المجال، وما تفرد به، وما تابع فيـــه مـــن ســـبقه، لغاية في الأهمية. ومن خلال ذلك تتجلى عبقريته، وحذقه باللغة ليكون واحداً من أهـــم العلمـــاء وألمعهم في هذا المجال.

منهج البحث:ـــ

سأتبع إنشاء الله في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي. حيث إنني سأقوم بوصف وتحليل كل ما كُتب عن ابن جني، وما قال عنه معاصروه، وما هي حياته، وما هي الظروف التي أثرت عليه، سواء منها الاجتماعية، أو السياسية، أو الثقافية، وكيف كانت الحياة العلمية فـــي عصـــره، وما هي المجالات العلمية التي طرقها ابن جني، وما تأثر به، وما أثر به في غيره.

تحديد مصطلحات البحث:ـــ

وردت مجموعة من المصطلحات سيتم تناولها بالتعريف والشرح في المكان المناسب.

الدراسات السابقة:ـــ

وقد قام الباحث بمحاولة تقصي الدراسات التي سبقت عن ابن جني، ومن هذه الدراســـات، دراسة ليلى آل حماد بعنوان "نقد كتاب علل التثنية لابن جني" وقد تناولت فيها التعريـــف بـــابن جني، ودراسة كتاب علل التثنية من خلال عرض المادة العلمية، تقويم الأسلوب، وأسلوب ابـــن جني في النقل، والأدلة النقلية والعقلية في الكتاب، ثم ابن جني من خلال كتبه في التثنية، ثم تأثر ابن جني في كتابه بالسابقين، وأثره في اللاحقين. وأهم نتائج الدراسة:

ـــ اتخذ ابن جني في معالجته للأفكار طريقة السؤال والجواب، حتى إذا لـــم يجـــد ســـائلاً يسأله تخيله تخيلاً، وألقى السؤال على نفسه، ليتولى الإجابة عنه.

ـ لاحظت على ابن جني بأنه لم يكن مجرد ناقداً لآراء السابقين، بل كان ناقداً يستعرض، ويختار، ويختصر، ويوجز، ويعلق على ما يرويه عن النحاة السابقين، مؤيداً مستحسناً لها، أو رافضاً منكراً إياها، مبدياً الأسباب في الحالتين.

ـ لم يتأثر ابن جني بآراء علماء البصرة فقط، بل يأخذ بآراء الفريقين، بالإضافة إلى آرائه الخاصة.

ـ إن المنهج الذي سلكه ابن جني في علل التثنية، يوضح كيف أن ابن جني وضع كتابه هذا لخدمة المتعلمين، فكان الأسلوب واضحاً سلساً قريباً للفهم، لم يستشهد بسوى شاهدين شعريين، واعتمد على الأمثلة ليسهل توضيح فكرته.

ـ لاحظت أن بحث علل التثنية هذا قد ضمنه ابن جني بأكمله في كتابه سر صناعة الإعراب، وكان الحث في سر صناعة الإعراب أكثر تفصيلاً.

ـ تعليلات ابن جني واضحة كل الوضوح لا تعقيد فيها ولا بعد بل هي قريبة كثيراً من واقع اللغة، وهذا كله يؤكد غرضه من تأليف كتابه لغرض التثنية.

ـ لقد كان ابن جني أميناً في أثناء نقله، ينسب ما يأخذه إلى أصحابه، وحين ينقد رأي عالم من العلماء لا يستخدم أساليب التجريح، بل يستخدم ألفاظ لطيفة مثل (ضعيف، فاسد، ...).

ـ لأهمية الكتاب فقد استفاد منه من أتوا بعد ابن جني، سواء بالتلخيص والاقتباس كما كان عند السهيلي، ومنهم من زاد على تعليلاته كما وجدنا هذا عند العكبري، وغير ذلك كما أتضح في البحث.

وتختلف هذه الدراسة عن الدراسة الحالية بأنها ركزت على قسم واحد من أقسام النحو، أما الدراسة الحالية فقد ركزت على جهود ابن جني اللغوية والنحوية بشكل عام.

ومن الدراسات السابقة أيضاً، دراسة بدر الدين قاسم الرفاعي، بعنوان " الصوتيات عند ابن جني ". وقد تناول فيها الجهاز الصوتي عند ابن جني، والصوت والحرف، والحروف العربية ومخارجها وأقسامها وتركيبها داخل الكلمة، وحروف المد والحركات.

وهي الأخرى أيضاً تناولت مسألة واحدة من المسائل التي تعرض لها ابن جني.

ومن الدراسات السابقة، دراسة محمد وليد حافظ بعنوان " قراءة في فكر ابن جني من خلال (الخصائص) على ضوء علم اللغة الحديث" وقدم فيها الباحث نبذة مختصرة عن حياة ابن

جني، وتناول فيها أيضاً علم اللغة العام، وتصور ابن جني لمراحل وضع ألفاظ اللغة، واجتماعية الظاهرة اللغوية ، وأهمية القياس في اتساق النظام اللغوي في رأي ابن جني.

وهذه الدراسة تضمنت مسائل لم تتطرق لها الدراسة الحالية، ولم تتضمن المسائل التي تناولتها الدراسة الحالية عدا مقتطفات في القياس.

كما أن هناك عناوين لدراسات يقترب عنوان الدراسة الحالية منها، إلا أننا لم نتمكن من الاطلاع على محتوياتها ومن هذه الدراسات:

ـ ابن جني اللغوي: للدكتور عبد الغفار هلال رسالة دكتوراه كلية اللغة العربية جامعة الأزهر سنة ١٩٧٠م

ـ ابن جني النحوي : للدكتور فاضل صالح السامرائي رسالة ماجستير طبعة في دار النذير في بغداد ١٩٦٩م

ـ ابن جني وعلم الدلالة : للباحثة نوال كريم رسالة ماجستير كلية الآداب الجامعة المستنصرية.

ـ ابن جني وجهوده في دراسة الأصوات في ضوء علم اللغة الحديث للدكتور مصطفى محمد عويضة رسالة دكتوراه كلية الآداب جامعة عين شمس.

ـ الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني : للدكتور حسام النعيمي نشرتها وزارة الثقافة في العراق سنة ١٩٨٠م.

فصول البحث المقترحة (تقسيم البحث):ـ

اقتضت طبيعة البحث إلى تقسيمه إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة.

المقدمة: وتحتوي على مفردات خطة البحث وإعطاء فكرة مفصلة عن منهجيته ونتائجه.

الفصل الأول: نشأة ابن جني وعصره.

الفصل الثاني: الأصول المعتمدة في الدرس اللغوي عند ابن جني. وفيه ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: السماع .
- المبحث الثاني: القياس.
- المبحث الثالث: التعليل.

الفصل الثالث: مباحث في اللغة والنحو والتصريف عند ابن جني. وفيه أربعة مباحث:

- المبحث الأول: تعريف النحو عند ابن جني والتفريق بين النحو والإعراب.
- المبحث الثاني: علل التثنية.
- المبحث الثالث: الاشتقاق.
- المبحث الرابع: الأصوات.

الخاتمة: وفيها سيقدم الباحث ملخصاً للبحث وأهم النتائج التي سيتوصل إليها البحث.

أهم المراجع التي سوف يرجع إليها الباحث:ـــ

١. ابن جني، أبو الفتح عثمان، (٢٠٠٧م)، **الخصائص**، (د.ط)، القاهرة: دار الحديث.

٢. ابن جني، أبو الفتح عثمان، (١٩٨٥م)، **سر صناعة الإعراب**، (ط١)، دمشق: دار القلم.

٣. ابن خلكان، أحمد بن محمد، (١٩٧٧م)، **وفيات الأعيان وأنبـــاء أبنـــاء الزمـــان**، (د.ط)، (ج٣) بيروت: دار الثقافة.

٤. ابن السراج، أبو بكر، (١٩٨٥م)، **الأصول في النحو**، (ط٣)، بيروت: مؤسسة الرسالة.

٥. ابن فارس، أحمد، (١٩٦٣م)، **الصاحبي في فقه اللغة**، (د.ط)، بيروت: بـــدران للطباعـــة والنشر.

٦. الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن، (١٩٩٨م)، **الإنصاف فـــي مســـائل الخـــلاف بـــين النحويين البصريين والكوفيين**، (د.ط)، بيروت: المكتبة العصرية.

٧. التنوخي، أبو المحاسن، (١٩٨١م)، **تاريخ العلماء النحويين من البصـــريين والكـــوفيين وغيرهم**، (د.ط) الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود.

٨. الحموي، ياقوت، (د.ت)، **معجم الأدباء**، (د.ط)، (ج١٢)، بيـــروت: دار إحيـــاء التـــراث العربي.

٩. الدمشقي، أبو الفداء إسماعيل، (١٩٩٨م)، **البداية والنهاية**، (ط ١)، (ج١١)، القاهرة: دار الفجر للتراث.

١٠. السبكي، علي بن عبد الكافي، (١٤٠٤هـــ)، **الإبهاج في شـــرح المنهـــاج**،(ط١)، (ج١)، بيروت: دار الكتب العلمية.

جامعة العلوم والتكنولوجيا
الجمهورية اليمنية

كلية العلوم الإدارية والإنسانية
لغة عربية

ابن جني وجهوده اللغوية والنحوية

بحث مقدم إلى قسم الدراسات الإسلامية واللغة العربية للحصول على درجة البكالوريوس في اللغة العربية

إعداد

الطالب/ سليمان سالم علي باقشع
الرقم الجامعي: ٢٠٠٦١٧١٠١

إشراف

الدكتور/عبد القادر علي باعيسى

العام الجامعي ٢٠٠٩/٢٠١٠م
الفصل الدراسي الثاني

قال الله تعالى :

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾

إهـــــداء

أهدي هذا البحث إلى جميع من وقفوا إلى جواري، أثناء سير تعليمي، يمدونني بعونهم وتأييدهم، ويشجعونني على مواصلة التعليم والبحث والدراسة.

أهديه إلى روح والدي أسكنه الله فسيح جناته، وإلى والدتي، وأخواني، وجميع الأهل، والأصدقاء، والزملاء.

إليهم جميعاً أهدي باكورة جهدي العلمي.

اعتراف بالفضل

أتقدم بالشكر لله سبحانه وتعالى الذي أمدني بعونه وتوفيقه، على إنجاز هذا البحث، كما أتقدم بالشكر والاعتراف بالفضل لكل من ساهم من قريب أو بعيد، بشكل مباشر أو غير مباشر في إعداد هذا البحث، وأرجو لهم من الله الثواب والأجر.

ولمزيد من الاعتراف بالفضل أخص بالذكر أستاذي الدكتور/ عبد القادر علي باعيسى المشرف على هذا البحث.

قائمة المحتويات

ملخص البحث

تناول هذا البحث جهود ابن جني في اللغة بظواهرها المختلفة، وقد تم تقسيم البحث إلى ثلاثة فصول إلى جانب المقدمة، والتي تتضمن الخطة والدراسات السابقة، إضافة إلى الخاتمة.

وقد اشتمل الفصل الأول على ترجمة ابن جني، وحياته، ونشأته، ومذاهبه، وشعره، وأدبه والظروف الاجتماعية، والسياسية، والثقافية في عصره، التي أثرت عليه، وأثاره العلمية وأثره فيمن بعده.

أما الفصل الثاني فقد احتوى على أدلة الدرس اللغوي ممثلة في جهود ابن جني. وقد تناول الباحث في المبحث الأول السماع، والثاني القياس، والثالث التعليل، من خلال آراء ابن جني مبتدئ بالسماع، بتعريفه لغة، واصطلاحاً، ومعرفة أقسامه، وأضربه، وأهميته في تنمية ملكة الفرد اللغوية، والاعتماد عليه في حال تعارضه مع القياس، وعناية ابن جني به، ورؤيته فيه. وتناول في المبحث الثاني القياس، بتعريفه أيضاً، وذكر أركانه، وأضربه، وأقسامه، موضحاً جهد ابن جني، والذي اعتمده أصلاً من أصول النحو. أما التعليل فقد استعرض الباحث فيه تعريف العلة، وأقسامها، والتعليل النحوي عند ابن جني، ومكانة العلة النحوية بين علل المتفقهين، والمتكلمين، وكذلك تناول الباحث العلل الموجبة، والعلل المجوزة.

والفصل الثالث اشتمل على مباحث متفرقة في اللغة، والنحو، والتصريف، عند ابن جني، وبدأ الباحث في المبحث الأول تعريف النحو عند ابن جني والتفريق بين النحو والإعراب، بتعريف كل منهما والفرق بينهما. والمبحث الثاني علل التثنية، تطرق فيه الباحث إلى رؤية ابن جني في علل التثنية، واعتماده على آراء شيخه أبي علي الفارسي لدفع أقوال من خالفوه، وكذلك اعتماده على الأدلة الموضوعة في شرحه لعلل التثنية، وعلى التعليلات التعليمية المباشرة في تعليل القواعد والأحكام. وفي المبحث الثالث استعرض الباحث تعريف الاشتقاق، وأنوعه، وأول من ألف فيه، ورؤية ابن جني في ذلك. أما المبحث الرابع الأصوات عند ابن جني فقد تناول فيه الباحث تعريف الصوت، وجهود ابن جني في هذا المجال، وإسهامه فيه، ومدى اهتمامه بجوهر الصوت في كتابه سر صناعة الإعراب. ومن خلال هذه الدراسة، استطاع الباحث أن يتوصل إلى بعض النتائج التي اختتم بها البحث.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين وإمام المرسلين، أنــزل عليــه ربه القرآن الكريم، بلسان عربي مبين، وعلى آله وصحبه الذين نصبوا أنفسهم للدفاع عن بيضة الدين، حتى رفع الله بهم مناره المبين.

وبعد:

فإن اللغة العربية من أشرف اللغات وأعلاها مكانة، فبها نزل القرآن الكريم الذي زاد من رفعتها وانتشارها في العالم الإسلامي وغير الإسلامي، حيث صارت لغة التواصــل والحــوار، ولغة العلم والتفكير، وما تعدد لهجاتها وترادف ألفاظها إلا دليلاً علــى ســعتها. فقــد عربــت، وترجمت إليها العلوم والآداب الإغريقية، والفارسية، والرومانية، وأصبحت لغة الحديث الرسمية في جميع أنحا العالم، ولقد أرسى قواعد هذه اللغة علماء أجلاء تفرغوا للغوص في أعماقها مــن أجل الحفاظ عليها، ورفع صرحها، ومن بين هؤلاء العلماء، العالم الفذ أبو الفتح عثمان بن جني، الذي هو موضوع هذا البحث «ابن جني وجهوده اللغوية والنحوية» وقد أعددته للحصول علــى درجة البكالوريوس، وذلك لما له من مكانة وجهود جبارة في إرساء قواعد هذه اللغة من خــلال مصنفاته، ومؤلفاته القيمة في جميع فروع اللغة العربية، من نحو، وصــرف، وأدب، وبلاغــة، حيث يعتبر ابن جني أحد أقطاب المدرسة اللغوية، والتي يتزعمها كل من الخليــل بــن أحمــد، وسيبويه، وأبي علي الفارسي، والتي أعتقد أن كل علم من أعلامها جدير بالبحث والدراسة.

وقد درس هذا البحث حياة ابن جني من خلال التعرف على نســبه، ومولــده، وعصــره، ونشأته، وأساتذته، وتلاميذه، وأهم المؤثرات التي أثرت في حياته العلمية. وكذلك مذاهبه الدينيــة والعلمية، ومكانته بين العلماء، وأهم مؤلفاته التي أثرى بها علوم العربية، ومن ثم تطرقت إلــى أهم المسائل التي عالجها ابن جني في مؤلفاته، وما هي المسائل التي تفرد بها بآراء خاصة، وما هي المسائل التي تابع من خلالها جهود سابقيه، وأهم ملاحظاته وآرائه فيها، وذلك مــن خــلال مؤلفاته ومصنفاته في شتى علوم العربية، وكذلك من خلال ما كتــب الآخــرون عنــه، وذلــك للإحاطة بأهم ما أفاد به العربية في حياته الحافلة بالعلم والمعرفة.

ويعود سبب اختيار الموضوع إلى ما يلي:ــ

ــ الرغبة في خدمة اللغة العربية.

ــ الرغبة في الإحاطة والإلمام بكل ما كتب عن هذا العالم الفذ، وكذلك أهم مؤلفاته.

ـ إعطاء هذا العالم جزء من اهتمامنا عرفاناً بما قدمه للعربية من خدمة جليلة، من اجل الرفع من شأنها بين لغات العالم، وإثرائها بشتى أنواع المعرفة.

ـ قلة الأبحاث في هذا الموضوع.

وقد قمت بتقديم نبذه عن حياة هذا العالم الجليل، من خلال التعرف على نسبه، ومولده، ونشأته، وحياته العلمية، وأساتذته الذي تأثر بهم، وتلاميذه الذين تأثروا به، ومذاهبه الدينية والنحوية، وأهم ما قال عنه معاصروه، وكذلك أهم ما كتب عنه، كما إنني أوردت أهم المؤلفات، والمصنفات، التي أسهم بها في إثراء علوم اللغة، وجهوده الجبارة في تقديم شتى أنواع المعارف اللغوية، والنحوية، لدارسي اللغة العربية. وبما إن المسائل والأبواب التي تطرق لها أبو الفتح عثمان بن جني، وأدلى فيها بدلوه، لا يتسع المقام في هذا البحث للإحاطة بها، فقد أقتصرت في بحثي هذا على أهمها، ومن ذلك الصوتيات عند ابن جني، وأنظمة وأدلة النحو كالسماع، والقياس، والتعليل، والإعراب، والاشتقاق، وعلل التثنية، وغير ذلك من المسائل التي تطرق إليها ابن جني في مؤلفاته.

وتتلخص أهداف هذا البحث فيما يلي:

ـ إلى التمرس في البحث العلمي المنهجي.

ـ تقديم نبذه تاريخيه عن حياة ابن جني.

ـ التعرف والاطلاع على مؤلفات ابن جني التي أسهم من خلالها في إثراء اللغة العربية بالعديد من الآراء والمعارف اللغوية.

ـ الإشارة إلى أهم المسائل التي أولاها ابن جني جلّ اهتماماته.

أما أهمية هذا البحث فتكمن في أهمية الثروة العلمية، واللغوية، التي خلفها لنا عالم اللغة أبو الفتح عثمان بن جني. فقد أفاد ابن جني اللغة العربية بالكم الهائل من المصنفات القيمة، التي لا يستغني عنها اللغويون في حياتهم. لذا فإن الحديث عن ابن جني، والتعريف به، ومعرفة ما ألفه في مجال اللغة، والأبواب التي طرقها في هذا المجال، وما تفرد به، وما تابع فيه من سبقه، لغاية في الأهمية. ومن خلال ذلك تتجلى عبقريته، وحذقه باللغة ليكون واحداً من أهم العلماء وألمعهم في هذا المجال.

وأتبعت في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي، حيث إنني قمت بوصف وتحليل كل ما كُتب عن ابن جني، وما قال عنه معاصروه، وما هي حياته، وما هي الظروف التي أثرت عليه،

سواء منها الاجتماعية، أو السياسية، أو الثقافية، وكيف كانت الحياة العلمية في عصره، وما هي المجالات العلمية التي طرقها ابن جني، وما تأثر به وما أثر به في غيره.

وقد وردت مجموعه من المصطلحات تم تناولها بالتعريف والشرح في مكانها المناسب.

وقد قام الباحث بمحاولة تقصي الدراسات التي سبقت عن ابن جني، ومن هذه الدراسات، دراسة ليلى آل حماد بعنوان "نقد كتاب علل التثنية لابن جني" وقد تناولت فيها التعريف بابن جني، ودراسة كتاب علل التثنية من خلال عرض المادة العلمية، تقويم الأسلوب، وأسلوب ابن جني في النقل، والأدلة النقلية والعقلية في الكتاب، ثم ابن جني من خلال كتبه في التثنية، ثم تأثر ابن جني في كتابه بالسابقين، وأثره في اللاحقين. وأهم نتائج الدراسة:

ــ اتخذ ابن جني في معالجته للأفكار طريقة السؤال والجواب، حتى إذا لم يجد سائلاً يسأله تخيله تخيلاً، وألقى السؤال على نفسه، ليتولى الإجابة عنه.

ــ لاحظت على ابن جني بأنه لم يكن مجرد ناقداً لآراء السابقين، بل كان ناقداً يستعرض، ويختار، ويختصر، ويوجز، ويعلق على ما يرويه عن النحاة السابقين، مؤيداً مستحسناً لها، أو رافضاً منكراً إياها، مبدياً الأسباب في الحالتين.

ــ لم يتأثر ابن جني بآراء علماء البصرة فقط، بل يأخذ بآراء الفريقين، بالإضافة إلى آرائه الخاصة.

ــ إن المنهج الذي سلكه ابن جني في علل التثنية، يوضح كيف أن ابن جني وضع كتابه هذا لخدمة المتعلمين، فكان الأسلوب واضحاً سلساً قريباً للفهم، لم يستشهد بسوى شاهدين شعريين، واعتمد على الأمثلة ليسهل توضيح فكرته.

ــ لاحظت أن بحث علل التثنية هذا قد ضمنه ابن جني بأكمله في كتابه سر صناعة الإعراب، وكان الحث في سر صناعة الإعراب أكثر تفصيلاً.

ــ تعليلات ابن جني واضحة كل الوضوح لا تعقيد فيها ولا بعد بل هي قريبة كثيراً من واقع اللغة، وهذا كله يؤكد غرضه من تأليف كتابه لغرض التثنية.

ــ لقد كان ابن جني أميناً في أثناء نقله، ينسب ما يأخذه إلى أصحابه، وحين ينقد رأي عالم من العلماء لا يستخدم أساليب التجريح، بل يستخدم ألفاظ لطيفة مثل (ضعيف، فاسد، ...).

ـ لأهمية الكتاب فقد استفاد منه من أتوا بعد ابن جني، سواء بالتلخيص والاقتباس كما كان عند السهيلي، ومنهم من زاد على تعليلاته كما وجدنا هذا عند العكبري، وغير ذلك كما أتضح في البحث.

وتختلف هذه الدراسة عن الدراسة الحالية بأنها ركزت على قسم واحد من أقسام النحو، أما الدراسة الحالية فقد ركزت على جهود ابن جني اللغوية والنحوية بشكل عام.

ومن الدراسات السابقة أيضاً، دراسة بدر الدين قاسم الرفاعي، بعنوان " الصوتيات عند ابن جني ". وقد تناول فيها الجهاز الصوتي عند ابن جني، والصوت والحرف، والحروف العربية ومخارجها وأقسامها وتركيبها داخل الكلمة، وحروف المد والحركات.

وهي الأخرى أيضاً تناولت مسألة واحدة من المسائل التي تعرض لها ابن جني.

ومن الدراسات السابقة، دراسة محمد وليد حافظ بعنوان " قراءة في فكر ابن جني من خلال (الخصائص) على ضوء علم اللغة الحديث" وقدم فيها الباحث نبذة مختصرة عن حياة ابن جني، وتناول فيها أيضاً علم اللغة العام، وتصور ابن جني لمراحل وضع ألفاظ اللغة، واجتماعية الظاهرة اللغوية ، وأهمية القياس في اتساق النظام اللغوي في رأي ابن جني.

وهذه الدراسة تضمنت مسائل لم تتطرق لها الدراسة الحالية، ولم تتضمن المسائل التي تناولتها الدراسة الحالية عدا مقتطفات في القياس.

كما أن هناك عناوين لدراسات يقترب عنوان الدراسة الحالية منها، إلا أننا لم نتمكن من الاطلاع على محتوياتها ومن هذه الدراسات:

ـ ابن جني اللغوي: للدكتور عبد الغفار هلال رسالة دكتوراه كلية اللغة العربية جامعة الأزهر سنة ١٩٧٠م

ـ ابن جني النحوي : للدكتور فاضل صالح السامرائي رسالة ماجستير طبعة في دار النذير في بغداد ١٩٦٩م

ـ ابن جني وعلم الدلالة : للباحثة نوال كريم رسالة ماجستير كلية الآداب الجامعة المستنصرية.

ـ ابن جني وجهوده في دراسة الأصوات في ضوء علم اللغة الحديث للدكتور مصطفى محمد عويضة رسالة دكتوراه كلية الآداب جامعة عين شمس.

ـ الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني : للدكتور حسام النعيمي نشرتها وزارة الثقافة في العراق سنة ١٩٨٠م.

ومن حيث الجهود التي تمت في هذا البحث، كأي بحث بدأ الباحث أولاً باختيار عنوان الدراسة من بين العناوين المقترحة، ومن ثم إعداد خطة البحث، وبعد الموافقة عليها من قبل الدكتور المشرف على البحث وطرح مقترحاته، تم جمع المراجع، وقراءة المعلومات، وتدوينها، وتنظيمها. بعد ذلك شرع الباحث في كتابة البحث في صورته الأولية، ونظراً للكم الهائل من المسائل والموضوعات التي خاض فيها ابن جني، وغزر المادة العلمية، وكثرة المؤلفات التي خلفها، لم يستطع الباحث الإلمام بكل ذلك . لذلك اقتصر على أبرز الجهود اللغوي والنحوية عند ابن جني.

ولا يخلو أي بحث علمي من صعوبات، لذلك فقد واجه الباحث العديد من الصعوبات تمثلت في صعوبة الاطلاع كون الباحث مستقر في بيئة ريفية لا تتوفر بها أبسط الوسائل المساعدة على البحث، بما في ذلك وسائل الاتصالات، إضافة إلى تشتت الذهن بين المشاغل والظروف.

وفي سبيل إنجاز البحث، استعان الباحث بعدة مراجع من أهمها:

ـ كتب ابن جني، الخصائص، سر صناعة الإعراب، علل التثنية، اللمع في العربية.

ـ معجم الأدباء لياقوت الحموي.

ـ الاقتراح، وبغية الوعاة للسيوطي.

ـ نظرية التعليل النحوي للملخ.

ـ النحو العربي لمازن المبارك.

وغيرها من المصادر والمراجع التي كانت الفائدة منها كبيرة، كما أن هناك مراجع متوسطة الفائدة، وأخرى الفائدة منها شحيحة، كما أن هناك مراجع كان يتوقع الباحث أنها مفيدة في هذه الدراسة، وتم إدراجها ضمن قائمة مراجع خطة البحث إلا أنها لم تفد الباحث في شيء.

وقد أشتمل هذا البحث على مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة.

المقدمة : وتحتوي على مفردات خطة البحث وإعطاء فكرة مفصلة عن منهجيته ونتائجه.

والفصل الأول : نشأة ابن جني وعصره، تضمن ترجمة ابن جنـــي، وحياتـــه، ومولـــده، ونشأته، وشيوخه، والظروف الاجتماعية، والسياسية، والثقافية في عصره، التي أثـــرت عليـــه، وآثاره العلمية، وأثره في من بعده.

والفصل الثاني : الأصول المعتمدة في الدرس اللغوي عند ابن جني، واحتوى على ثلاثـــة مباحث هي: السماع، والقياس، والتعليل.

والفصل الثالث : مباحث في اللغة والنحو والتصريف عند ابن جني. اشتمل على تعريـــف النحو عند ابن جني والتفريق بين النحو والإعراب، وعلل التثنية، والاشتقاق، والأصوات.

الخاتمة: وفيها قدم الباحث أهم النتائج التي توصل إليها البحث. وأهم نتيجة هي: أن ابـــن جني صاحب عقلية مبتكرة في شتى علوم اللغة، فهو زعيم مدرسة القياس، وهـــو أحـــد أقطـــاب المدرسة اللغوية وهو أول من أراد تأليف أصول النحو على مذهب أصول الفقه والكـــلام، وهـــو أول من استعمل المصطلح اللغوي علم الأصوات، وهو كما قال المتنبي رجل يجهل قدره كثيـــر من الناس.

كما أعد الباحث قائمة بالمصادر والمراجع التي تم الرجوع إليها في البحث.

ولا يسع الباحث في هذا المقام إلا أن يتقدم بخالص الشكر والتقدير للدكتور/ عبـــد القـــادر علي باعيسى، المشرف على هذه الدراسة، وكل من بذل العون والمساعدة له، حتى خرج البحث بهذه الصورة.

الفصل الأول

نشأة ابن جني وعصره

نسبه وموطنه:

هو أبو الفتح، عثمان بن جني الموصلي النحوي اللغوي، من أحذق أهل الأدب وأعلمهم بالنحو والتصريف، وصاحب التصانيف الفائقة المتداولة في اللغة[(١)].

ولم تذكر المصادر التاريخية وكتب التراجم نسباً له بعد جني؛ إذ أن أباه جني كان عبداً رومياً مملوكاً لسليمان بن فهد بن أحمد الأزدي الموصلي[(٢)]، ولم يُعرف عنه شيء قبل مجيئه الموصل، وإلى هذا أشار ابن جني نفسه بقوله في جملة أبيات:

فإن أصبح بلا نسب ... فعلمي في الورى نسبي

على أني أؤول إلى .. . قرومٍ سادة نجب

قياصرة إذا نطقوا ... أرَمّ الدهر ذو الخطب

أولاك دعا النبي لهم ... كفى شرفاً دعاء نبي

وجني بكسر الجيم وتشديد النون وكسرها وسكون الياء علم رومي وهو معرب كني[(٣)]، وقد أراد ابن جني تفسير اسم أبيه جني الرومي ، فوجد أنه يعني في العربية : الفاضل، وتعني في اليونانية: كريم ، نبيل،جيد التفكير، عبقري، مخلص[(٤)].

---

(١) الدمشقي، أبو الفداء إسماعيل، (١٩٩٨م)، **البداية والنهاية**، (ط ١) القاهرة: دار الفجر للتراث، ١١/٣٦٠.

(٢) ابن خلكان، أحمد بن محمد، (١٩٧٧م)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، (د.ط)، بيروت: دار الثقافة، ٣/٢٤٦.

(٣) السيوطي،جلال الدين عبدالرحمن، (د.ت)، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، (د.ط)، بيروت : المكتبة العصرية،٢/١٣٢.

(٤) ابن جني، أبو الفتح عثمان، (٢٠٠٧م)، **الخصائص**، (د.ط)، القاهرة: دار الحديث، ١/٦.

وكانت ولادة ابن جني بالموصل، وفيها قضى طفولته وتلقى دروسه الأولى، وذكرت المصادر التي ترجمت له أنه ولد قبل سنة ثلاثين وثلاثمائة[٥]، وإذا كانت أغلب المصادر التاريخية على أنه توفي ــ كما سيأتي ــ سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة، وكان آنذاك في السبعين من عمره[١]، فإن ولادته تكون في سنة اثنتين وعشرين أو إحدى وعشرين وثلاثمائة من الهجرة.

وقد أقام ابن جني بعد الموصل ببغداد، وظل يدرس بها العلم إلى أن توفي. ولا يعرف من أسرة ابن جني غير أبيه، وعلى الرغم من شهرته بكنيته أبي الفتح إلا أن المصادر لم تذكر أن له ولداً بهذا الاسم، وما ذكر له: علي، وعالٍ، وعلاء، يقول فيهم ياقوت الحموي[٢]: "كلهم أدباء فضلاء قد خرجهم والدهم وحسن خطوطهم فهم معدودون في صحيحي الضبط، وحسني الخط".

ولم تذكر لنا كتب التراجم الكثير عن صفات ابن جني الخلقية وسماته الجسمية غير بعض الصفات البارزة فيه حيث روي أنه كان ممتعاً بإحدى عينيه وذلك كناية عن أنه كان أعور والذي ينبئ عن هذا العور ويدلل عليه هذه الأبيات[٣]:

صدودك عني ولا ذنب لي   يدل على نية فاسدة

فقد ــ وحياتك ــ مما بكيت   خشيت على عيني الواحدة

ولولا مخافة أن لا أراك   لما كان في تركها فائدة

وقد ذهب الشربيني[٤] إلى إن ابن جني كان في لسانه لكنة لمكانه من العجمة من جهة أبيه، فكان يستعين على إيضاح ما يريد بالإشارة، وهذه الصفات ولا ريب لا يمكن أن تقدح في شخصية الرجل التي طبقت الآفاق بسعة علمه وإفاضته في علوم العربية، كما أنه كان رجل جد

---

[٥] ابن خلكان، المرجع السابق، ٢٤٨/٣.

[١] الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد،(د.ت)، **العبر في خبر من غبر**، (د.ط)، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٨٣/٢.

[٢] الحموي، ياقوت، (د.ت)، **معجم الأدباء**، (د.ط)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٩١/١٢.

[٣] ابن خلكان، المصدر السابق، ٢٤٦/٣.

[٤] الشربيني، شريدة، (٢٠٠٧م)، **مقدمة الخصائص**، (د.ط)، القاهرة: دار الحديث، ٩/١.

وامرأ صدق في قوله وفعله، فلم يعرف عنه اللهو والشرب والمجون. وكان عفَّ اللسان والقلـــم، يتجنب البذيء من الألفاظ. ولم يكن همه رضاء الملوك ومنادمتهم كأدباء عصره.

شيوخه وتلاميذه:

ذكر ياقوت في معجمه[٥] أن ابن جني "صحب أبا علي الفارسي أربعين سنة وكان السبب في صحبته له: أن أبا علي اجتاز بالموصل فمر بالجامع وأبو الفتح في حلقةٍ يُقرئ النحـــو وهـــو شاب [قيل إن عمره كان سبع عشرة سنة] فسأله أبو علي الفارسي عن مسألةٍ فـــي التصـــريف فقصر فيها، فقال له أبو علي: زببت وأنت حِصرِم، فسأل عنه فقيل له: هذا أبو علـــيٍ الفارســـي فلزمه من يومئذٍ واعتنى بالتصريف فما أحد أعلم منه به ولا أقوم بأصوله وفروعه، ولا أحســـن أحد إحسانه في تصنيفه".

وقد أخذ ابن جني عن أبي علي الفارسي وأحسن الأخذ عنه، وهو الذي أحســـن تخريجـــه ونهج له البحث. وتجمع الروايات على أن أبا الفتح صحب أبا علي بعد سنة ٣٣٧هـــ ولازمـــه في السفر والحضر[١].

ويعتبر أبو علي الفارسي المتوفى سنة ٣٧٧هـــ أهم شخصية علمية أثرت تأثيراً بالغاً فـــي تكوين ابن جني فهو شديد التعلق به، كثير النقل عنه، وما من مرة يذكر فيها اســـمه إلا ويغـــدق عليه بالدعاء والرحمة.

ويمكننا أن نستشهد على مدى تقديره لعلم شيخه بما ورد في كتابه الخصائص "وقلت مـــرة لأبي بكر أحمد بن علي الرازي ـــ رحمه الله ـــ وقد أفضنا في ذكر أبي علي ونبل قدره، ونباوة محله: أحسب أنَّ أبا علي قد خطر له وانتزع من علل هذا العلم ثلث ما وقع لجميـــع أصـــحابنا. فأصغى أبو بكر إليه،ولم يتشنَع هذا القول عليه"[٢].

---

[٥] الحموي، المصدر السابق، ٩١/١٢.

[١] الشربيني، المصدر السابق، ١٢/١.

[٢] المصدر نفسه،١٢/١.

كما أن هناك علماء كثيرون استفاد منهم، وقرأ عليهم، فقد أخذ النحو عن أحمد بن محمد الموصلي الشافعي المعروف بالأخفش، وممن استفاد منهم ابن جني أبو بكر محمد بن الحسن بن يعقوب المعروف بابن مقسم أحد قراء بغداد كان عالماً باللغة والشعر وسمع من ثعلب وتوفي سنة ٣٥٤هـ أو سنة٣٥٥هـ. وقد تردد اسم ابن مقسم مراراً في كتبه الذائعة الصيت كسر الصناعة، والخصائص وكان يأخذ عنه عن أحمد بن يحيى ثعلب، فهو يذكر أحياناً أنه أخبره عنه كأن يقول: أخبرنا محمد بن الحسن عن أحمد بن يحيى، وقرأ ابن جني على أبي الفرج الأصفهاني، وروى عن أبي بكر محمد بن هارون الروياني عن أبي حاتم السجستاني، وروى أيضاً عن محمد بن سلمة عن أبي العباس المبرد ومن العرب الفصحاء الذين أخذ عنهم اللغة، وكان يثق بلغتهم أبو عبد الله محمد بن العساف العقيلي التميمي، وقد يذكره ابن جني باسم أبي عبد الله الشجري[1].

ولما مات أبو علي الفارسي تصدر أبو الفتح ابن جني في مجلسه ببغداد – وكان قد صنف في حياته – وأقرأ بها الأدب، وقد أخذ عنه الثمانيني، وعبد السلام البصري، وأبو الحسن السمسمي[2]، وقام أيضا بالتدريس لأبناء أخي الحاكم البويهي.

مذهبه الفقهي:

كان ابن جني حنفي المذهب، فتراه ينصر الحنفية على الشافعية[3]، ولم يعرف عن ابن جني أنه كان شيعياً، وإن كان الظاهر من أمره ذلك، والأظهر أنه إنما كان يصانعهم، وكان من دواعي مصانعته لهم أن كان ذوو السلطان من آل بويه منهم، وهو كان متصلاً بهم صلة قوية وكان البويهيون يحرصون على إظهار شعائر الشيعة.

ابن جني والمتنبي:

---

(1) المصدر نفسه، ١/١٠.

(2) السيوطي، المصدر نفسه، ٢/١٣٢.

(3) الشربيني،المصدر السابق، ١/١٩.

لقد كان لابن جني علاقة خاصة بأبي الطيب المتنبي، فقد صحبه دهـراً طـويلاً، وكـان يعجب به ويستشهد بشعره في المعاني، وهو أول من شرح ديوانه. قال ابن خلكان[٤]: "ورأيـت في شرحه قال: سأل شخص أبا الطيب المتنبي عن قوله: بادٍ هواك صبرت أم لـم تصـبرا ... فقال: كيف أثبت الألف في "تصبرا " مع وجود لم الجازمة، وكان من حقه أن يقول "لم تصـبر"، فقال المتنبي: لو كان أبو الفتح هاهنا لأجابك، يعنيني، وهذه الألف هي بدل مـن نـون التأكيـد الخفيفة، كان في الأصل "لم تصبرن" ونون التأكيد الخفيفة إذا وقف الإنسان عليها أبدل منها ألفاً، قال الأعشى:

ولا تعبد الشيطان والله فاعبدا ... وكان الأصل فاعبدن فلما وقف أتى بالألف بدلاً. فكـان المتنبي يحترم ابن جني كثيرا ويجله ويقدره، وكان يقول عنه: "هذا رجل لا يعرف قـدره كثيـر من الناس"، وكان المتنبي إذا سئل عن شيء من دقائق النحو والتصريف فـي شـعره يقـول: "سلوا صاحبنا أبا الفتح"[١].

عصره والحالة العلمية فيه:

في القرن الرابع الهجري، أصيب العالم الإسلامي بانقسام كبير،فهذا العصر يمثل عصـر ضعف الدولة العباسية، فالخلفاء مغلوبون على أمرهم والأمر لغيرهم، فمصر في أيدي الفاطميين ثم في أيدي الإخشيديين، وولايات فارس يتداولها المتغلبون، وبلاد كثيرة تحت أيدي الحمـدانيين، لذلك تعرض الكثير من الخلفاء للخلع والإذلال، ولم يكن الخليفة معهم إلا بالاسم، فعاث العامـة في الأرض الفساد، وتفاقم شر اللصوص، وانتشرت الفوضى والمنازعات وساءت الأحوال[٢].

هذا التردي الذي سبق لم يؤثر في الحالة العلمية، فالعالم الإسلامي في هذا القـرن كـان أعلى شأناً في العلم من القرون التي كانت قبله، فقد تم في هذا العصر امتزاج الثقافـات، وأخـذ

---

[٤] ابن خلكان، المصدر السابق، ٢٤٨/٣.

[١] الشربيني، المصدر السابق، ١٣/١.

[٢] المصدر نفسه، ٢٣/١.

الخلفاء يشجعون الطب والتنجيم، كما نفذ العلماء إلى أبواب الفلسفة والرياضيات، وعنى الأمـــراء والعلماء بجمع الكتب وتأليفها، وأنشئت في هذا العصر الكثيـــر مـــن دور الكتـــب والمؤسســـات العلمية.

فلهذا كله تطور العلم تطوراً كبيراً وخطى خطوات واسعة في التقدم.

ابن جني النحوي الصرفي:

كان ابن جني – كما ذكرنا – من أحذق أهل الأدب وأعلمهم بـــالنحو والتصـــريف، إلا أن علمه بالصرف كان أقوى وأكمل من علمه بالنحو، بل لم يكن في شيءٍ من علومه أكمل منه في التصريف، ولم يتكلم أحد – كما قال ياقوت – في التصريف أدق كلاماً منه[٣].

وكان السبب في ذلك تلك القصة التي أوردناها سابقاً، والتي قال له فيها شيخه أبـــي علـــي الفارسي حين سأله عن مسألة في التصريف فقصر فيها ولم يستطع الإجابة عنها: "زببت وأنـــت حِصرِم"، فمن يومئذ – وكان حينها في مقتبل شبابه – لزم نفسه شيخه هذا مدة أربعين سنة، وقد اعتنى بالتصريف أحسن ما يكون الاعتناء، حتى إنه لما مات شيخه أبي علي تصدر هـــو (ابـــن جني) مكانه ببغداد.

وكان ابن جني بصري المذهب كشيخه أبي علي، ويجري في كتبه ومباحثه على أصـــول هذا المذهب ويدافع عنه[١]، على أن ابن جني لشدة حبه للعلم فكان يأخذه من أهله، بصرياً كـــان أو غيره، فيكثر من النقل عن ثعلب و الكسائي ويمدحهما على اختلافه معهما في المذهب، وقـــد يأخذ برأي البغداديين، والمدرسة البغدادية وسط بين المدرستين البصرية والكوفية.

وجعلته هذه الأرضية الفكرية وتمثله لتراث سابقيه يلح على جعل اللغة علماً. وإليه يمكن أن ننسب باطمئنان وضع القاعدة اللغوية المطَّردة الشاملة التي لا يطعن فيها طاعن، فهو بهذا ذو عقل شمولي متميز، خطّ لمن بعده أسس البحث اللغوي وأساليبه. وفتح أبواباً لـــم يتســـن فتحهـــا

---

[٣] الحموي، المصدر السابق، ١٢/٨١ــ٨٣.

[١] الشربيني، المصدر السابق، ١/٢١.

لسواه. ووضع أصولاً في الاشتقاق ومناسبة الألفاظ للمعاني، وإهمال ما أهمل من الألفاظ وغير ذلك. ومن الذين استفادوا من بحوثه ابن سيده، وابن سنان الخفاجي وغيرهم[٢].

وألف ابن جني كتاب الخصائص ليبحث النظام العام للغة منطلقاً من تمثله لآراء أستاذه أبي علي الفارسي القائمة على دراسة اللغة دراسة بنيوية وظيفية، فشرح عموميات اللغة في مستهل الخصائص، كالفرق بين القول والكلام، ومعنى النحو والإعراب والبناء. وتطرق إلى أصل اللغة؛ أوحي هي أم اصطلاح، ولم يجزم بواحدة منهما، وقبل بنظرية ثالثة هي نظرية الأصل الطبيعي. ولم يتوقف طويلاً عند هذا الموضوع ما دام لا يغير شيئاً من حقيقة القوانين اللغوية. وأوضح أن هدفه تأسيس أصول للنحو على غرار أصول الفقه ورفع العلل النحوية التي كانت مضرب المثل في الضعف إلى مرتبة العلل الكلامية؛ فخطط أسلوب البحث العلمي، وطريقة وضع القواعد الشاملة. وأكد أن للغة قوانين تحافظ عليها، وأفرد أبواباً كثيرة للقياس الذي يتزعم مدرسته إلى جانب دراسات صوتية تصب هي الأخرى في مجرى النظام العام للغة.

كما أنه ينتمي مثل معظم اللغويين الكبار في تاريخنا، سيبويه والفراء والفارسي والزمخشري وغيرهم إلى المعتزلة، وهم الجماعة المعروفة بتحكيم العقل؛ فالاعتزال منهج في البحث والتجربة والاستدلال العقلي. وقد كانت ثقة المعتزلة كبيرة بالعقل لا يحدها إلا احترام أوامر الشرع؛ فكل مسألة من مسائلهم يعرضونها على العقل؛ فما قبل أقرّوه، وما لم يقبل رفضوه.

وقد بلغ أبو الفتح في علوم العربية مكانة سامية.أثبتها له المتقدمون والمتأخرون على السواء تدل على ما بلغه ابن جني من سمو المكانة وعلو المنزلة في علوم العربية،ومن يطّلع على نصوص الذين ترجموا له يتأكد من هذه المرتبة السامية التي لم ينلها أحد سواه. يقول الثعالبي: "هو القطب في لسان العرب، وإليه انتهت الرياسة في الأدب"[١].

---

(٢) المصدر نفسه، ١/١٦.

(١) الثعالبي، أبو منصور عبد الملك، (١٩٨٣م)، **يتيمة الدهر**، (ط١)، بيروت: دار الكتب العلمية، ١/١٣٧.

ويقول الباخرزي[٢]: عن أبي الفتح عثمان بن جني، " ليس لأحد من أئمة الأدب في فتح المقفلات، وشرح المشكلات ماله، فقد وقع عليها من ثمرات الإعراب ولا سيما في علم الإعراب، ومن وقف على مصنفاته وقف على بعض صفاته" . وقال ياقوت[٣]: "عثمان بن حني ...من أحذق أهل الأدب وأعلمهم بالنحو والتصريف، وصنف في ذلك كتباً أبرّ بها على المتقدمين، وأعجز المتأخرين،... ولم يتكلم أحد في التصريف أدق كلاماً منه" . وقد جاء في تاريخ العلامة ابن خلدون[٤]: "مثل ما وصل إلينا بالمغرب لهذا العهد من تأليف رجل من أهل صناعة العربية من أهل مصر يعرف بابن هشام، ظهر من كلامه فيها أنه استولى على غاية من ملكة تلك الصناعة، لم تحصل إلا لسيبويه، وابن جني،وأهل طبقتهما".

لاشك أن هذه الآراء والشهادات في شخصية ابن جني العلمية تغنينا عن كل تعليق.

أما بالنسبة لأراء المحدثين، فإنهم يتفقون على قدم سبقه، وعبقريته في علوم العربية.فجلّ البحوث اللغوية الحديثة تعتمد على آرائه في اللغة، والأصوات، والتصريف. فقد كان نسيج وحده في صناعة التصريف، ويعد بحق فيلسوف العربية وباقرها، وأكبر أئمة النحو بعد الخليل وسيبويه، وقد بواه الأستاذ أحمد أمين زعامة مدرسة القياس.

وقد ألتف تلاميذ أبي علي حول زميلهم، وخليفة شيخهم حتى أصبح إمام بغداد، كما أصبح مرجع العالم الإسلامي في علوم العربية. وقرر منذ ألف عام كثيراً من القواعد التي أقرها اليوم المستشرقون وعلماء الأصوات، ولا يعلم حقيقة أثر ابن جني في التصريف، واللغة، إلا من اطلع على آثار الصرفيين وأصحاب المعاجم، فإنها كلها مطبوعة بطابعه. فبلغ في علوم العربية من الجلالة ما لم يبلغه إلا القليل، ورزق من القبول ما هو أهله. فقد خلف أستاذه أبا علي في التدريس في بغداد بعد وفاته، ويدين له بالتلمذة تلاميذ أبي علي، ومنهم أئمة عظام، كعبد السلام البصري، والسمسمي، وأبو علي لا ينكر أمره، وأستاذيته فهذا الشرف استأثر به أبو الفتح،

---

(٢) الباخرزي، علي بن الحسن، **دمية القصر**، ص ٢٩٧، نقلاً عن الحموي، معجم الأدباء، ٨٥/١٢.

(٣) الحموي، المصدر السابق، ٨١/١٢ــ٨٣.

(٤) ابن خلدون، عبد الرحمن، **(١٩٩٢م)، تأريخ ابن خلدون، (ط١)**، بيروت: دار الكتب العلمية، ٥٣٢/١.

واستبد به على أصحاب أبي علي وهم كثر،فهو من أعلى علماء العربية كعباً في كل عصورها، وأغوصهم عامة على أسرار العربية، و أنجحهم في الاهتداء إلى النظريات العامة وكتابه الخصائص لا يزال محط إعجاب علماء العرب والغرب على السواء ، وهو مبتدع نظرية الاشتقاق الكبير، ومؤسس علم فقه اللغة، أما التصريف فهو إمامه دون منازع، وكتابة سر الصناعة من خير ما حفظ الزمان من هذا التراث. فكل هذا يدل دلالة قطعية على ما بلغه أبو الفتح من سعة العلم، وفضل السبق في علوم العربية.

ورغم ذلك فقد هاجمه، وسائر النحاة المعتزلة، كثيرون بتهمة اضطراب الرؤية اللغوية نتيجة لإقحام المنطق في النحو.

ابن جني الأدبي الشاعر:

لم يكن ابن جني إماما في النحو والصرف فقط، ولم يكن من العلماء الذين يقتصرون على مجالس العلم والتعليم، أو حتى التأليف، إنما كان ابن جني كمن يريد أن يملك نواصي اللغة، فهو إلى جانب ما سبق يعد من أئمة الأدب، جمع إتقان العلم إلى ظرف أهل الكتابة والشعر، وهو الأمر الذي جعل الثعالبي ينعته في يتيمة الدهر بقوله: إليه انتهت الرياسة في الأدب، وقال الباخرزي في دمية القصر موضحا: ليس لأحدٍ من أئمة الأدب في فتح المقفلات، وشرح المشكلات ما له؛ فقد وقع عليها من ثمرات الأعراب، ولا سيّما في علم الإعراب.

وكدليل مادي على ذلك، فقد أثبت ياقوت في معجمه عن خط أبي الفتح بن جني خطبة نكاحٍ من إنشائه يقول فيها[١]: "الحمد لله فاطر السماء والأرض، ومالك الإبرام والنقض، ذي العزة والعلاء، والعظمة والكبرياء، مبتدع الخلق على غير مثالٍ، والمشهود بحقيقته في كل حالٍ، الذي ملأت حكمته القلوب نوراً، فاستودع علم الأشياء كتاباً مسطوراً، وأشرق في غياهب الشبه خصائص نعوته، واغترقت أرجاء الفكر بسطبية ملكوته.

---

[١] الحموي، المصدر السابق، ١٢/٩٣ــ٩٦.

أحمده حمد معترف بجزيل نعمه وأحاظيه، ملتبساً بسني قسمه وأعاطيه، وأؤمن بــه فــي السر والعلن، وأستدفع بقدرته ملمات الزمن، وأستعينه على نوازل الأمور، وأدرئه في نحر كــل محذور، وأشهد شهادةً تخضع لعلوها السموات وما أظلت، وتعجز عن حملها الأرضــون ومــا أقلت، أنه مالك يوم البعث والمعاد، والقائم على كل نفسٍ بالمرصاد، وأن لا معبود سواه، ولا إله إلا هو، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم – وبحل وكرم – عبده المنتخب، وحجته علــى العجــم والعرب، ابتعثه بالحق إلى أوليائه ضياءً لامعاً، وعلى المراق من أعدائه شهاباً ســاطعاً، فابتــذل في ذات الله نفسه وجهدها، وانتحى مناهج الرشد وقصدها، مستسهلاً مــا يــراه الأنــام صــعباً، ومستخصباً ما يرعونه بينهم جدباً، يغامس أهل الكفر والنفاق، ويمارس البغاة وأولــى الشــقاق، بقلبٍ غير مذهولٍ، وعزمٍ غير مفلول يستنجز الله صادق وعده، ويسعى في خلود الحق من بعده، إلى أن وطد بوانى الدين وأرساها، وشاد شرف الإسلام وأسماها، فصرم مدته التي أوتيهــا فــي طاعة الله موفقاً حميداً، ثم انكفأ إلى خالقه مطمئنا به فقيداً، صلى الله عليه وسلم ما ومــض فــي الظلام برق، أو نبض في الأنام عرق، وعلى الخيرة المصطفين من آله، والمقتدين بشرف فعاله.

وإن مما أفرط الله تعالى به سابق حكمه، وأجرى بكونه قلم علمه، ليضم بوقوعه متبــاين الشمل، ويزم به شارد الفرع إلى الأصل، أن فلان بن فلان وهو – كما يعلم من حضر من ذوي الستر وصدق المختبر – مشجوح الخليقة، مأمون الطريقة، متمسك بعصام الــدين، آخــذ بســنة المسلمين، خطب للأمر المحموم، والقدر المحتوم، من فلان بن فلان الظاهر العدالة والإنصاف، أهل البر وحسن الكفالة والكفاف، عقيلته فلانة بنت فلانٍ خيرة نسائها وصفوة آبائها فــي زكــاء منصبها وطيب مركبها، وقد بذل لها من الصداق كذا وكذا، فليشهد على ذلك أهل مجلسنا، وكفى بالله شهيداً، ثم يقرهما ثم يقال: لاءم الله على التقوى كلمتيكما، وأدام بالحسنى بينكما، وخار لكمــا فيما قضى، ولا أبتركما صالح ما كسا، وهو حسبنا وكفى".

والخطبة تنبئ بنفسها على ما فيها من جزالة اللفظ وبلاغة الأسلوب وجماله.

وإضافة إلى ذلك فقد كان لابن جني ملكة الشاعر وحسه، حتى إنه ليقرض الشعر وينظمه بما يعبر عن حسن تأتّيه في الصنعة على طريقة شعراء دهره، يقول البـــاخرزي[1] فـــي دميـــة القصر: "... فوربيّ، إنّه كشف الغطاء عن شعر المتنبّي، وما كنت أعلم به أنّه ينظم القــريض، أو يسيغ ذلك الجريض، حتى قرأت له مرثية في المتنبي أولها:

غاض القريض وأذوت نضرة الأدب ... وصوّحت بعد ري دوحة الكتب

ومن هذه المرثية أيضا:

سلبت ثوب بهاء كنت تلبســه .... كما تخطّفت بالخطيّــة السلب

ما زلت تصحب في الجلّى إذا انشعبت. قلباً جميعاً وعزماً غير منشعب

وقد حلبت لعمري الدّهر أشطره .... تمطـــو بهمة لا وانٍ ولا نصب

من للهواجل يحيي ميت أرسمها .... بكل جائلة التصديــر والحــقب

قبــاء خوصاء محمودٍ علالتها ..... تنبو عريكتهــا بالحــلس والقتب

أم من البيض الظبا توكافهن دم ... أم من لسمر القنا والزغف واليلب

أم للجحافل يذكي جمر جاحمها ... حتى يقربها من جاحم اللهب

أم للمحافل إذ تبدو لتعمرها ... بالنظم والنثر والأمثال والخطب

أم للصواهل محمراً سرابلها ... من بعد ما غربت معروفة الشهب

أم للمناهل والظلماء عاطفة ... يواصل السكر بين الورد والقرب

أم للقساطل تعتم الحزون بها ... أم من لضغم الهزبر الضيغم الحرب

أم للملوك يحليها ويلبسها ...... حتى تمايس في أبرارها القشب

باتت وسادي أطراب تؤرقني ... لما غدوت لقى في قبضة النوب

---

[1] الباخرزي، دمية القصر، ص ٢٩٧، نقلاً عن الحموي، معجم الأدباء، ١٢/٨٥ـــ٨٩.

عمرت خدن المساعي غير مضطهد... كالنّصل لم يدنس يوماً ولم يعب

فاذهب عليك سلام المجد ما قلقت... خوص الركائب بالأكوار والشعب"

وقد قال الثعالبي[١]: "... وكان الشعر أقل خلاله لعظم قدره، وارتفاع حاله"، ومما أنتجته قريحته أيضاً قوله في الغزل:

غزال غير وحشي ...حكى الوحشي مقلته

رآه الورد يجني الور ... د فاستكساه حلته

وشم بأنفه الريحا ... ن فاستهداه زهرته

وذاقت ريقه الصهبا ... ء فاختلسته نكهته

وله:

أيا دارهم ما أنت أنت مذ انتووا ... ولا أنا مذ سار الركاب أنا أنا

وجود المنى أن لا يكاثر بالمنى ... ونيل الغنى أن لا يكاثر بالغنى

ومن كان في الدنيا أشد تصوراً ... تجده عن الدنيا أشد تصونا

مؤلفاته:

ترك ابن جني للأجيال بعده من مصنفاته ما بلغ سبعة وستين مصنف، مابين وجيز ووسيط وبسيط ، منها ما هو مطبوع، ومنها ما ذكر المفهرسون مكان وجوده، ومنها ما لا نجد له ذكراً ولا في فهارس المخطوطات، ومن مصنفاته المشهورة:

في معجمه أورد ياقوت إجازة كتبها ابن جني لأحد تلاميذه، وهو الشيخ أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن نصر، وذلك في آخر جمادى الآخرة من سنة أربع وثمانين وثلاثمائة من الهجرة، أي قبل وفاته بنحو ثماني سنوات، أورد فيها معظم تواليفه إن لم يكن كلها، وقد جاء في

---

[١] الثعالبي، المصدر السابق، ١٣٧/١.

أولها[٢]: "قد أجزت للشيخ أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن نصر – أدام الله عزه – أن يروي عني مصنفاتي وكتبي مما صححه وضبطه عليه أبو أحمد عبد السلام بن الحسين البصري – أيد الله عزه – عنده منها..."، ثم ذكر من الكتب التالية:

الخصائص – التمام في تفسير أشعار هذيل مما أغفله السكري – سر الصناعة – تفسير تصريف المازني – شرح المقصور والممدود لابن السكيت – تعاقب العربية – تفسير ديوان المتنبي الكبير، ويسمى الفسْر – تفسير معاني ديوان المتنبي، وهو شرح ديوان المتنبي الصغير – اللمع في العربية – مختصر التصريف المشهور بالتصريف الملوكي – مختصر العروض والقوافي – الألفاظ المهموزة – المقتضب – تفسير المذكر والمؤنث ليعقوب [ذكر أنه لم يتمه] ... الخ.

وقد ذكر ياقوت أن له كتبا أخرى لم تتضمنه هذه الإجازة منها[١]: "كتاب المحتسب في شرح الشواذ، وكتاب تفسير أرجوزة أبي نواس، وكتاب تفسير العلويات وهي أربع قصائد للشريف الرضى كل واحدةٍ في مجلدٍ، وهي قصيدة رثى بها أبا طاهر إبراهيم ابن نصر الدولة أولها:

ألق الرماح ربيعة بن نزار ... أودى الردى بقريعك المغوار

ومنها قصيدته التي رثى بها الصاحب بن عبادٍ وأولها:

أكذا المنون تقطر الأبطالا ... أكذا الزان يضعضع الأجيالا

وقصيدته التي رثى بها الصابئ أولها:

أعلمت من حملوا على الأعواد ... أرأيت كيف خبا زناد النادي

---

[٢] الحموي، المصدر السابق، ١٠٩/١٢ــ١١٠.

[١] الحموي، المصدر السابق، ١١١/١٢ــ١١٣.

وكتاب البشرى والظفر صنعه لعضد الدولة ومقداره خمسون ورقةً في تفسير بيتٍ من شعر عضد الدولة.

أهلاً وسهلاً بذي البشرى ونوبتها ... وباشمال سرايانا على الظفر

وكتاب رسالةٍ في مد الأصوات ومقادير المدات كتبها إلى أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد الطبري مقدارها ست عشرة ورقةً بخط ولده عالٍ: كتاب المذكر والمؤنث، كتاب المنتصف، كتاب مقدسات أبواب التصريف، وكتاب النقض على ابن وكيعٍ في شعر المتنبي وتخطئته، كتاب المغرب في شرح القوافي، كتاب الفصل بين الكلام الخاص والكلام العام، كتاب الوقف والابتداء، كتاب الفرق، كتاب المعاني المجردة، كتاب الفائق، كتاب الخطيب، كتاب الأراجيز، كتاب ذي القد في النحو، وكتاب شرح الفصيح، وكتاب شرح الكافي في القوافي وجد على ظهر نسخةٍ ذكر ناسخها أنه وجده بخط أبي الفتح عثمان بن جنيٍ – رحمه الله – على ظهر نسخة كتاب المحتسب في علل شواذ القراءات". هذه وغيرها مما لم نرد حصره.

وفاته:

في بغداد، وفي خلافة القادر، وتحديدا يوم الجمعة لليلتين بقيتا من صفر، سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة من الهجرة رحل ابن جني عن دنيا الناس، تاركاً مؤلفاته وذخائره العلمية تتحدث عنه وتحييه بينهم من جديد[١].

---

[١] ابن خلكان، المصدر السابق، ٣/٢٤٨.

الفصل الثاني

الأصول المعتمدة في الدرس اللغوي عند ابن جني

إن أدلة النحو كثيرة نذكر منها ما يلي:

١) السماع: وهو الأصل الأول من أصول النحو العربي وأقوى الأدلة.

٢) القياس: وهو الدليل الثاني من حيث قوة الاحتجاج به.

٣) الإجماع: وهو اتفاق علماء النحو والصرف من أئمة البلدين البصرة والكوفة على مسألة أو حكم.

٤) الاستصحاب: وهو استمرار الحكم وبقاء ما كان على ما كان. وهو من الأدلة المعتبرة، ومن أضعفها، ولا يجوز التمسك به حال وجداننا لدليل.

٥) التعليل (بيان العلة): وهو تبيان علة الحكم للاستدلال بوجودها على وجوده، وعدم وجودها على عدم وجوده.

٦) الاستحسان: وهو ترك القياس والأخذ بما هو أوفق للناس. ودلالته ضعيفة وغير مستحكمة.

٧) قول المخالف: وهو صحيح ومستقيم.

٨) عدم النظير: وهو النفي لعدم وجود دليل على الإثبات.

٩) إسقاط الدليل: وهو نفي الدليل لعدم وجوده. لأنه يلزم من فقد العلة فقد المعلول.

ومن هذه الأدلة ما هو منضبط بضابط ومنها ما لا ضبط له، فالأدلة المنضبطة بضابط هي:

السماع، والقياس، والإجماع، والاستصحاب. وما عداها لا ضابط له.

وسندرس في هذا الفصل من بحثنا الأصول التالية:

السماع، والقياس، والتعليل. وسنفرد لكل منهم مبحثاً خاصاً به.

المبحث الأول

السماع

السماع لغة: مصدر سَمِعَ، وسَمِعَ له يسمع سَمْعَاً وسِمْعَاً وسَمَاعاً[١]، وسمع لفلان أو إليه أو إلى حديث سمعاً وسماعاً: أصغى وأنصت وأسمع فلاناً الكلام: جعلـه يسـمعه، أو أبلغـه إيـاه وأوصله إلى سمعه[٢].

اصطلاحاً: هو سماع الحديث من لفظ الشيخ، إملاءً أو تحديثاً، وسواء كان من حفظـه، أو القراءة من كتابه وهو أرفع درجات الرواية عند الأكثرين[٣].

---

[١] وزارة الأوقاف، (١٤٠٤ـ١٤٢٧هـ)، **الموسوعة الفقهية الكويتية**، (ط١)، مصر: دار الصفوة، ٢٣٩/٢٥.

[٢] مصطفى، إبراهيم وآخرون، (د.ت)، **المعجم الوسيط**، (د.ط)، (د.م)، دار الدعوة، ٤٤٩/١.

[٣] اليحصبي، عياض بن موسى، (١٩٧٠م)، **الإلماع**، (ط١)، القاهرة/ تونس: دار التـراث/ المكتبـة العتيقـة، ٦٩/١.

وهو الأصل الأول من أصول النحو العربي وهو المدرك من الأصوات بالآلة المحسوسة، ويراد به هنا ما ثبت في كلام من يوثق بفصاحته من كلام الله والرسول صلى الله عليه وسلم وكلام العربي(مسلماً أم كافراً شعراً أم نثراً) إلى وقت فساد ألسنة الناس بكثرة المولدين.

وينقسم السماع إلى قسمين:

١) مطرد: الكلام المنقول عن العرب مستفيضاً في استعمالهم في الإعراب في صناعة النحو والصرف بحيث يطمأن إلى أنه كثير كي يصح أن يقاس عليه.

٢) شاذ: كل كلام عربي أصيل فارق أصل بابه وخالف القياس الصناعي ولم تذكر له قاعدة كلية ولم يحظ بالشيوع عند العرب بغض النظر إلى قلته أو كثرته.

وهما على أربعة أضرب:

الأول: مطرد في القياس والاستعمال معاً وهذا هو المطلوب والغاية. و هو الكلام:

(١) الذي لا يخرج عن القواعد العامة المبنية على الأعم والأشمل.

(٢) والذي كثر استعماله في العربية.

الثاني: مطرد في القياس شاذ في الاستعمال. وهو الكلام:

(١) الذي لا يخرج عن القواعد العامة المبنية على الأعم والأشمل.

(٢) الذي ندر استعماله.

الثالث: مطرد في الاستعمال شاذ في القياس: وهو الكلام:

(١) الذي خرج عن القواعد العامة المبنية على الأعم والأشمل.

(٢) الذي كثر استعماله.

الرابع: شاذ في القياس والاستعمال معاً: وهو الكلام:

(١) الخارج عن القواعد العامة المبنية على الأعم والأشمل.

(٢) الذي لم تستخدمه العرب. وهو مجمع على رفضه.

فالضرب الأول مطرد في القياس والاستعمال معا يقول عنه ابن جني[١]: "وإذا فشا الشيء في الاستعمال وقوي في القياس فذلك ما لاغاية وراءه، نحو منقاد اللغة من النصب بحروف النصب، والجر بحروف الجر، والجزم بحروف الجزم، وغير ذلك مما هو فاشٍ في الاستعمال، قوي في القياس" .

أما الضرب الثاني مطرد في القياس شاذ في الاستعمال فيقول عنه ابن جني[٢]: "وإن شذ الشيء في الاستعمال وقوي في القياس كان استعمال ما كثر استعماله أولى، وإن لم ينته قياسه إلى ما انتهى إليه استعماله.

من ذلك اللغة التميمية في "ما" هي أقوى قياساً وإن كانت الحجازية أسير استعمالاً" .

والضرب الثالث مطرد في الاستعمال شاذ في القياس يقول عنه ابن جني[٣]: "ومما ورد شاذاً عن القياس ومطرداً في الاستعمال قولهم: "الحَوْكَة"، و"الخَوَنَة".

فهذا من الشذوذ عن القياس على ما ترى، وهو في الاستعمال منقاد غير متأبٍّ ".

والضرب الرابع شاذ في القياس والاستعمال معاً يقول عنه ابن جني[١]: "وأما ضعف الشيء في القياس، وقلته في الاستعمال فمرذول مطَّرح، غير أنه قد يجيء منه الشيء إلا أنه قليل؛ وذلك من نحو ما أنشده أبو زيد من قول الشاعر:

اضرب عنك الهموم طارقها   ضربك بالسيف قونس الفرس[٢]

---

[١] ابن جني، المصدر السابق، ١/١٧٩.
[٢] المصدر نفسه، ١/١٧٧.
[٣] المصدر نفسه، ١/١٧٦.
[١] المصدر نفسه، ١/١٧٩.

قالوا أراد: "اضربن عنك" فحذف نون التوكيد، وهذا من الشذوذ في الاستعمال على ما تراه، ومن الضعف في القياس على ما أذكره لك" .

وقد لفت ابن جني إلى أهمية السماع في تنمية ملكة الفرد اللغوية التي يكتسبها من أفراد مجتمعه، وذلك حين تحدث عن اتصال العرب ببعضهم وأثره في انتقال لغاتهم إلى بعضهم فقال[٣]: "إنهم بتجاورهم وتلاقيهم وتزاورهم يجرون مجرى الجماعة في دار واحدة، فبعضهم يلاحظ صاحبه ويراعي أمر لغته، كما يراعي ذلك من مهم أمره". وهكذا تتنامى حصيلة الفرد اللغوية ما دام متصلاً بغيره من الناس.

غير أن ابن جني قد وقف عند ذلك العربي الفصيح الذي انتقل لسانه من لغته إلى لغة أخرى ووضع لذلك حداً في الأخذ عنه فقال[٤]: "اعلم أن المعمول عليه في نحو هذا أن تنظر حال ما انتقل إليه لسانه، فإن كان إنما انتقل من لغته إلى لغة أخرى مثلها فصيحة وجب أن يؤخذ بلغته التي انتقل إليها،...فإن كانت اللغة التي انتقل إليها لسانه فاسدة لم يؤخذ بها ويؤخذ بالأولى، حتى كأنه لم يزل من أهلها ".

وامتحن ابن جني الأعراب ودقق في أخذه للغة عنهم، ومن مظاهر ذلك ما ذكر من سؤاله لأبي عبد الله الشجري قال[٥]: " كيف تجمع «دكاناً»؟ فقال: «دكاكين»، قلت: فـ«سِرْحَاناً»؟ قال: «سراحين»، قلت:فـ«قرْطَاناً»؟ قال: «قَراطين»، قلت: فـ«عثمان»؟ قال: «عُثْمَانُون»، فقلت له: هلا قلت أيضاً «عَثامين»؟ قال: أيش «عثامين»! أرأيت إنساناً يتكلم بما ليس من لغته، والله لا أقولها أبداً ".

---

(٢) البيت من المنسرح، لم ينسبه أحد من الرواة، والقونس: أعلى البيضة من الحديد. والقونس أيضاً: عظم ناتئ بين أذني الفرس، انظر خزانة الأدب للبغدادي.

(٣) ابن جني، المصدر السابق، ٢/١٦.

(٤) المصدر نفسه، ١/٣٠٤.

(٥) المصدر نفسه، ١/٣٠٤.

وذهب ابن جني إلى اعتماد النطق بالمسموع على ما جاء عليه، وعدم القياس في حال تعارضهما، وافرد لذلك باباً في كتابه الخصائص، واستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ ﴾[١]، وذكر أنه ليس بقياس، لكنه لابد من قبوله، لأنك إنما نطقت بلغتهم، ويحتذى في جميع ذلك أمثلتهم، ولا يقاس عليه غيره[٢].

وأكد على ذلك في موضع آخر فقال: " وأعلم أن الشيء إذا أطرد في الاستعمال وشذ في القياس، فلابد من اتباع السمع الوارد فيه نفسه، لكنه لا يتخذ أصلاً يقاس عليه غيره، ألا ترى أنك إذا سمعت: «استحوذ» و«استصوب» أديتهما بحالهما، ولم تتجاوز ما ورد به السمع فيهما إلى غيرهما؟"[٣].

ويرى ابن جني أن أكثر اللغات استعمالاً هي اللغة الحجازية، كونها لغة القرآن وكثرت في النظم والنثر[٤].

---

[١] سورة المجادلة آية ١٩.

[٢] ابن جني، المصدر السابق، ١/١٧٠.

[٣] المصدر نفسه، ١/١٥٠.

[٤] المصدر نفسه، ١/١٧٨.

المبحث الثاني

القياس

القياس في اللغة: مصدر قاس " قاسَ الشيء يَقيسُه قَيْساً و قياساً واقتاسه وقَيَّسه إذا قدَّره على مثاله ... ويقال : قَايَسْت بين شيئين إذا قادَرْت بينهما"(١).

وقال الجرجاني(٢): " في اللغة عبارة عن التقدير يقال قست النعل بالنعل إذا قدرته وسويته وهو عبارة عن رد الشيء إلى نظيره ".

ثم بين– رحمه الله –: تعريفه في الشرع فقال: "وفي الشريعة عبارة عن المعنى المستنبط من النص؛ لتعديه الحكم من المنصوص عليه إلى غيره، وهو الجمع بين الأصل والفرع في الحكم ".

أركان القياس أربعة:

الأول: المقيس عليه وهو الأصل المعلوم.

و من شروطه : أن لا يكون شاذاً خارجاً عن سنن القياس، فما كان كذلك لا يجوز القياس عليه مثل: استحوذ، استصوب، استنوق(٣).

و ليس من شرط المقيس عليه الكثرة، إذ قد يقاس على القليل لموافقته للقياس، ولا يقاس على الكثير لمخالفته له ومثال الأول: شنئي نسبة إلى شنوءة، فقاسوا عليه الإضافة إلى قتوبة: قتبي، وإلى ركوبة: ركبي، وإلى حلوبة: حلبي، فجعلوا وزن «فعيلة» قياساً على «فعولة» مع إنه لم يقع إليهم من شواهد إلا هذه الكلمة المفردة، فهم يقولوا في فعولة ــ فعيلة، فكل منهما ثلاثي،

---

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم، (١٩٩٥م)، **لسان العرب**، (ط١)، بيروت: دار إحياء التراث، ٣٧٠/١١.

(٢) الجرجاني، علي بن محمد، (١٤٠٥هـ)، **التعريفات**، (ط١)، بيروت: دار الكتاب العربي، ص ٢٣٠.

(٣) ابن جني، المصدر السابق، ١٤٩/١.

وثالثه حرف لين، وانتهى بتاء التأنيث، فجعلوا واو شنوءة كياء حنيفة وعاملوها مثلها في النسبة، ومثال الثاني قولهم في ثقيف، وقريش، وسُليم، ثقفي وقرشي وسُلمي، وإن كان أكثر مــن شــنئي فإنه عند سيبويه ضعيف في القياس فليس لك أن تقول في سعيد: سعدي[٤].

و يجوز تعدد الأصول المقيس عليها.

الثاني: المقيس وهو الفرع المجهول، وهو ما كان محمولاً على كلام العــرب. واللغــات على اختلافها كلها حجة يقول ابن جني: " فالناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطئ "[١].

الثالث: الشبه أو العلاقة أو العلة الجامعة بين الأصل والفرع، وهو ما قدره النحويون مــن أسباب استحق بموجبها المقيس حكم المقيس عليه. والعلة صنفان: علة تطرد على كلام العــرب وتنساق إلى قانون لغتهم، وعلة تظهر حكمتهم وتكشف عن صحة أغراضــهم ومقاصــدهم فــي موضوعاتهم، فالأولى أكثر استعمالا وأشد تداولاً وهي واسعة الشعب. وسيأتي الحديث على ذلك في المبحث التالي.

الرابع: الحكم وهو ما يكتسبه الفرع من الأصل. وفيه مسألتان جواز القياس علــى حكــم ثبت بالقياس عن العرب (إذ الأصل أن يثبت بالسماع) وجواز القياس على أصل اختلــف فــي حكمه كقولهم في «إلا» أنها نابت عن الفعل «أستثنى» فهي تعمل عمله قياساً على« يــا»، فــإن إعمال « يا» مختلف فيه[٢].

---

[٤] المصدر نفسه، ١/١٦٧ــ١٦٨.

[١] المصدر نفسه، ٢/١٢.

[٢] المصدر نفسه، ٢/٢٦٧.

ومقاييس العربية عند ابن جني ضربان: أحدهما: معنوي. والآخر لفظي. ويرى أن القياس المعنوي هو الأقوى والأوسع ومثّل على ذلك بالأسباب المانعة من الصرف فواحد منها لفظي وثمانية معنوية[٣].

وللقياس أربعة أقسام هي:

١) حمل الفرع على الأصل كإعلال الجمع لإعلال المفرد مثل: «قيمة: قيم» أو تصحيحه لصحة المفرد مثل: «ثور: ثورة»[٤].

٢) حمل الأصل على الفرع كإعلال المصدر لإعلال فعله مثل: «قمت: قياماً» أو تصحيحه لصحة فعله مثل: «قاومت: قواماً»، فقد حملوا الأصل الذي هو المصدر على الفرع الذي هو الفعل[١].

٣) حمل نظير على نظير كحملهم «عزويت» على فعليت لوجد النظير وهو «عفريت، ونفريت»[٢].

٤) حمل ضد على ضد ومن أمثلته: تعدية «رضيت» بـ «على» لما كان ضد «سخطت»، و«سخطت» مما يعدى بـ «على»[٣].

ويرى ابن جني أن ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب، فهو يقول: " ألا ترى أنك لم تسمع أنت ولا غيرك اسم كل فاعل ولا مفعول وإنما سمعت البعض فقست عليه غيره. فإذا سمعت "قام زيد" أجزت "ظَرُفَ بِشْرٌ"، و"كَرُمَ خالد". "[٤].

---

[٣] المصدر نفسه، ١/١٦١.
[٤] المصدر نفسه، ١/١٦٣ـ١٦٤.
[١] المصدر نفسه، ١/١٦٥.
[٢] المصدر نفسه، ١/٢٥٥.
[٣] المصدر نفسه، ٢/٣٧١.
[٤] المصدر نفسه، ١/٤٣١.

ويؤكد أيضاً على " أن ما أعرب من أجناس الأعجمية قد أجرته العرب مجرى أصول كلامها، ألا تراهم يصرفون في العلم نحو: آجر ، إبرسيم ، وفرند، وفيروزج، وجميع ما تدخله لام التعريف؛ وذلك أنه لما دخلته اللام في نحو الديباج، والفرند ... أشبه اصول كلام العرب، أعني نكرات، فجرى في الصرف ومنعه مجراها "[٥].

كما أنه يرى أن اللغة لا تؤخذ جميعها بالقياس، بل منها ما يتدارك بالقياس، ومنه ما لابد من تقبله كهيئته. " معاذ الله أن ندعي أن جميع اللغة تستدرك بالأدلة قياساً "[٦].

المبحث الثالث

التعليل

مفهومه:

في اللغة: التعليل كما جاء في الصحاح: "سقي بعد سقي، وجني الثمرة مرة بعد أخرى"[١]. وفي اللسان: "العّلة المرض. علّ واعتلّ أي مرض فهو عليل، وعله الله، ولا أعلك الله أي لا أصابك بعلة، والعلة: الحدث يشغل صاحبه عن حاجته كأن العلة صارت شغلاً ثانياً منعه شغله الأول"[٢].

---

[٥] المصدر نفسه، ٤٣١/١.

[٦] المصدر نفسه، ٤١/٢.

[١] الجوهري، إسماعيل بن حماد، (١٩٨٧م)، **الصحاح**، (د.ط)، بيروت: دار العلم للملايين، ١٧٧٣/٥.

[٢] ابن منظور، المصدر السابق، ٣٦٧/٩.

في الاصطلاح: العلة في النحو هي الوصف الذي يكون مظنة وجه الحكمة في اتخاذ الحكم. أو بعبارة أوضح هي الأمر الذي يزعم النحويون أن العرب لاحظته حين اختارت في كلامها وجهاً معيناً من التعبير والصياغة[٣].

والتعليل في النحو كما يذهب إلى ذلك الدكتور حسن خميس الملخ[٤]: "تفسير اقتراني يبين علة الإعراب أو البناء على الإطلاق وعلى الخصوص وفق أصوله العامة. فهو تفسير، لأن التفسير هو الكشف عن المراد من اللفظ نحوياً سواء كان ذلك ظاهراً في المراد، أو غير ظاهر. فمن الظاهر تعليل رفع كلمة زيد في جملة: جاء زيد بأنها فاعل. ومن غير الظاهر تعليل عدم جزم أن المخففة الناصبة للمضارع، مع أن الأصل النظري لعملها الجزم، بأنها شابهت أن الناصبة للاسم، فنصبت".

ويذهب في موضع آخر إلى أن "تقييد التفسير بأنه اقتراني يشير إلى أن لعملية التعليل ركنين: العلة، والمعلول. فالعلة دليل يقترن بالمعلول لتفسيره نحويا، ويسميها بعض النحاة سبباً أو وجهاً. والمعلول مدلول عليه بالعلة المفسرة لحكمة المستعمل، كجر الاسم بحرف الجر أو لحكمة النظري المهمل، كوجوب جر إن وأخواتها للمبتدأ"[٥].

أقسام العلل:

لقيت العلة النحوية عناية فائقة فأفردت لها المؤلفات والبحوث، وتوسعت دائرة الدرس فيها وتشعبت وتناولها البحث النظري المعمق. فقسمت العلل إلى أقسام كما فعل ذلك أبو القاسم الزجاجي المتوفى سنة٣٣٧هـ. حيث جاء في كتابه الإيضاح أن علل النحو على ثلاثة أضرب: علل تعليمية،وعلل قياسية، وعلل جدلية نظرية[١].

---

[٣] المبارك، مازن، (١٩٦٥م)، **النحو العربي**، (ط١)، بيروت: دار الحضارة، ص ٩٠.

[٤] الملخ، حسن خميس، (٢٠٠٠م)، **نظرية التعليل النحوي**، (ط١)، عمّان: دار الشروق، ص ٢٩.

[٥] المصدر نفسه، ص ٣٠.

[١] الزجاجي، أبو القاسم، (١٩٨٦م)، **الإيضاح في علل النحو**، (ط٥)، بيروت: دار النفائس، ص ٦٤.

أما ابن جني فقد قسم العلل على أساس من سلامة الحس والذوق اللغوي. فعلل النحو عنده على ضربين: أحدهما واجب لا بد منه، لأن النفس لا تطيق في معناه غيره، والآخر ما يمكن تحمله، إلا أنه على تجشم واستكراه له[٢].

أما العلل الأخرى فهي عنده: "شرح وتفسير وتتميم للعلة ... فإن تكلّف متكلف جواباً عن هذا تصاعدت عدة العلل، وأدى ذاك إلى هجنة القول وضعفة القائل به"[٣].

بل إن ابن مضاء القرطبي المتوفى سنة٥٩٢هـ الذي رفض نظرية العامل، وحاول إنكار العلل لم يستطع أن يرد العلّة التعليمية حيث قال: والفرق بين العلل الأول، والعلل الثواني أن العلل الأول بمعرفتها تحصل لنا المعرفة بالنطق بالكلام العربي[٤].

وهكذا كانت العلل ثلاثة أنواع منها ما هو ضروري لتحقيق غاية تعليمية. وهي التوصل إلى معرفة كلام العرب، ومنها ما تقتضيه الضرورة اللغوية لقياس الكلمات على نظائرها عند طلب القاعدة لمجاراة كلام العرب. وبذلك نكفل للعربية الاستمرار والتطور، ومنها ما يتصل بالجدل والنظر وإظهار البراعة في البحث والاستقصاء. مما يدل دون ريب على تمكنهم من زمام اللغة، ومن أساليب البحث وطرائق النقاش. فقد حذا بهم حبهم للغتهم، وإخلاصهم لها. إلى استعمال كل الوسائل لسد جميع الثغرات، واستخلاص أحكامها العامة والفرعية لدفع كل الاحتمالات.

أما جلال الدين عبد الرحمن السيوطي المتوفى سنة٩١١هـ فإنه قد جعل أقساماً أخرى للعلل قال[١]: "قال أبو عبد الله الحسيني بن موسى الدينوري الجليس في كتابه ثمار الصناعة

---

[٢] ابن جني، المصدر السابق، ١/١٣٧.

[٣] المصدر نفسه، ١/٢٢٩.

[٤] القرطبي، ابن مضاء، (١٩٨٢م)، **الرد على النحاة**، (ط٢)، مصر: دار المعارف، ص ١٥٣.

[١] السيوطي، جلال الدين، عبد الرحمن، (١٩٩٨م)، **الاقتراح في أصول النحو**، (ط١)، بيروت: دار الكتب العلمية،ص ٧١.

اعتلالات النحويين صنفان: علّة تطّرد على كلام العرب وتنساق على قانون لغتهم، وعلّة تظهر حكمتهم، وتكشف عن صحة أغراضهم ومقاصدهم في موضوعاتهم ".

ثم ينقل السيوطي فروع كل قسم من أقسام العلل فيقول[٢]: "وهم للأولى أكثر استعمالاً وأشد تداولاً، وهي واسعة الشعب إلا أن مدار المشهور منها على أربعة وعشرين نوعاً وهي: علّة سماع، وعلّة تشبيه، وعلّة استغناء، وعلّة استثقال، وعلّة فرق، وعلّة توكيد، وعلّة تعويض، وعلّة نظير، وعلّة نقيض، وعلّة حمل على المعنى، وعلّة مشاكلة، وعلّة معادلة، وعلّة قرب ومجاورة، وعلّة وجوب، وعلّة جواز، وعلّة تغليب، وعلّة اختصار، وعلّة تخفيف، وعلّة دلالة حال، وعلّة أصل، وعلّة تحليل، وعلّة إشعار، وعلّة تضاد، وعلّة أولى".

وبعد فليس تحديد العلل بالأمر اليسير، ذلك لأن العلل تتكاثر تكاثراً امتدادياً.

التعليل النحوي عند ابن جني:

اهتمّ ابن جني اهتماماً ظاهراً بأمر التعليل النحوي، وأظهر حماسة لا نظير لها في الدفاع عنه، فقد وقف أمام علل النحو وقفة طويلة يدرس ويصف، ويحلل ويصنّف فأتى من ذلك بما لم يسبق إليه من قبل وما لم يلحق فيه من بعد. فهو ذروة القياس وفلسفته، وأعلى علماء العربية كعباً في جميع عصورها، وأغوصهم عامة على أسرار العربية، وأنجحهم في الاهتداء إلى النظريات العامة فيها. لقد كان ابن جني يعطي كل موضوع حقه من البحث والجهد وقد أعطى موضوع التعليل النحوي من كتاب، الخصائص، ومن اهتمامه قسطا وافراً وحظاً كبيراً، فله في ذلك ما يقرب من عشرين باباً تحت هذا العنوان عدا الفقرات الكثيرة التي بثها في ثنايا كتابه ضمن أبواب أخرى.

وقد انتهج ابن جني منهج الفقهاء في استنباط العلل إذ وقع في استقرائه النحو العربي على إشارات متناثرة في كتب النحاة جمع بعضها إلى بعض بما أوتي من دقة النظر النحوي وثقافة كلامية فقهية فقال عقب تحريره فصولاً في العلّة النحوية : "وأعلم أن هذه المواضع التي

---

[٢] المصدر نفسه، ص ٧٢.

ضممتها، وعقدت العلة على مجموعها، قد أرادها أصحابنا وعنوها، وإن لم يكونوا جاءوا بها مقدَّمة محروسة فإنهم لها أرادوا، وإياها نووا... فهذا الذي يرجعون إليه متفرقاً قدمناه نحن مجتمعاً"[١].

فغاية ابن جني بيان حكمة العرب في لغتهم ويرد على من أراد الإطاحة بعللهم أو أدعى ضعفها، ووضع ذلك باباً خاصاً عنوانه "باب في الرد على من أعتقد فساد علل النحويين بضعفه هو في نفسه عن إحكام العلة"[٢].

ولأجل ذلك بحث ابن جني عن مكان لعلل النحويين بين علل المتكلمين وعلل الفقهاء، ورأى أن علل النحو ليست كعلل الفقهاء مبنية على النص، ووجه المصلحة، ويضرب لذلك مثالاً بقوله: "ألا ترى أن ترتيب مناسك الحج،وفرائض الطهور، والصلاة، والطلاق، وغير ذلك، إنما يرجع في وجوبه إلى ورود الأمر بعمله، ولا تعرف علة جعل الصلوات في اليوم والليلة خمساً دون غيرها من العدد، ولايعلم أيضاً حال الحكمة والمصلحة في عدد الركعات، ولا في اختلاف مافيها من التسبيح والتلاوات"[٣].

ومعنى ذلك أن العلل الفقهية قد تكون وراء تبري حالة ما، ويخفى علينا هذا التبرير، ولا يحق لنا أن نسأل عن العلة في ذلك مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَسْأَلُواْ عَنْ أَشْيَاء إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾[٤] وهناك علل فقهية شبيهه بعلل النحويين لأن وراءها غرضاً يمكن تبريره واستخراج السبب الداعي إليه، ويمثل ابن جني لذلك بقوله[٥]: " نحو رجم الزاني إذا كان محصناً، وحدُّه إذا كان غير محصن؛ وذلك لتحصين الفروج، وارتفاع الشك في الأولاد والنسل، وزيد في حدِّ المحصن على غيره لتعاظم جرمه، وجريرته على نفسه. وكذلك إفادة القاتل بمن

---

[١] ابن جني، المصدر السابق، ١/٢١٥ــ٢١٦.
[٢] المصدر نفسه، ١/٢٤٢.
[٣] المصدر نفسه، ١/٩٥.
[٤] سورة المائدة، آية (١٠١).
[٥] ابن جني، المصدر السابق، ١/٩٦ــ٩٧.

قتله لحقن الدماء، وكذلك إيجاب الله الحج على مستطيعه، لما في ذلك من تكليف المشقة؛ ليستحق عليها المثوبة، وليكون أيضاً دربة للناس على الطاعة، وليشتهر به أيضاً حال الإسلام ".

ويرى أيضاً: أن علل الفقه أخفض رتبة من علل النحو فالتعليلات الفقهية لم تستفد من طريق الفقه، ولا تخص حديث الفرض والشرع بل هو أمر قائم في النفوس قبل ورود الشريعة به. لا تجد شيئاً مما علل به القوم وجه الإعراب إلا والنفس تقبله والحس منطو على الاعتراف به. وعلى هذا فعلل النحو أعلى رتبة من علل الفقه[١].

ويرى ابن جني أن علل النحو أقرب إلى علل المتكلمين لأنها تبرهن عقلياً فهي مستنبطة من ملاحظة كلام العرب في إطراده وسياقه وتركيبه " واعلم أن علل النحويين — وأعني بذلك حذاقهم المتقنين، لا ألفافهم المستضعفين — أقرب إلى علل المتكلمين، منها إلى علل المتفقهين. وذلك أنهم إنما يحيلون على الحس، ويحتجون فيه بثقل الحال أو خفتها على النفس، وليس كذلك حديث علل الفقه"[٢]. وهو لا يرى بأن علل النحويين في نفس المرتبة مع علل المتكلمين. لأن الثانية تتميز خاصة بأنها لا قدرة لك على جواز شيء منها فهي موجبة ليس في مقدورك أن تتصرف فيها سواء بمشقة أو بيسر. فهو يقول: " وليست كذلك علل المتكلمين، لأنها لا قدرة على غيرها، ألا ترى أن اجتماع السواد والبياض في محل واحد ممتنع لا مستكره، وكون الجسم متحركاً ساكناً في حال واحدة فاسد. لا طريق إلى ظهوره، ولا إلى تصوره. وكذلك ما كان من هذا القبيل.

فقد ثبت بذلك تأخر علل النحويين عن علل المتكلمين، وإن تقدمت علل المتفقهين "[٣].

أما علل النحويين فهي عند ابن جني لا تكاد تخرج عن الإطار اللغوي البحت وذلك من حيث جنوحها في الخفة، وبعدها عن الثقل. وإلحاق شيء بشيء آخر طلباً للانسجام وطرد

---

[١] المصدر نفسه، ٩٧/١.
[٢] المصدر نفسه، ٩٥/١.
[٣] المصدر نفسه، ١٩٨/١.

الأبواب على وتيرة واحدة. لذلك رأى ابن جني بأنها أقرب إلى علل المتكلمين منها إلى المتفقهين.

ويذهب الدكتور حسن خميس الملخ إلى أن: " سبب بحث ابن جني عن مكان لعلل النحويين بين علل الفقهاء، وعلل المتكلمين يعود إلى ما طبع الدراسات المختلفة في العصر الإسلامي من أن للمعرفة ــ أياً كانت ــ منهجين: منهجاً يقوم على استنباط الأصول من المسائل والجزئيات ويسمى بمنهج الفقهاء، ومنهجاً يقوم على بناء كليات ثم تطبيقها على الجزئيات والمسائل ويسمى بمنهج المتكلمين "[١].

فابن جني في تصنيفه للعلل النحوية إنما كان يعتمد الحس والشعور، ويستلهم الفطرة والذوق غير محتاج إلى الدليل والبرهان يقول: " فجميع علل النحو إذا مواطئة للطباع، وعلل الفقه لا ينقاد جميعها هذا الانقياد "[٢]. كما يرى أن العرب أصابت من قوة النظر وسلامة الذوق اللغوي حظاً وافراً يقول: " فقد أريتك في ذلك أشياء: أحدها استثقالهم الحركة التي هي أقل من الحرف، حتى أفضوا في ذلك إلى أن أضعفوها، واختلسوها ثم تجاوزوا ذلك إلى أن انتهكوا حرمتها فحذفوها، ثم ميلوا بين الحركات فأنحوا على الضمة والكسرة لثقلهما، وأجمعوا الفتحة في غالب الأمر لخفتها، فهل هذا إلا لقوة نظرهم، ولطف استشفافهم، وتصفحهم"[٣].

ويتكلم ابن جني على نشأة العلل فيقول إنها تخطر للنحاة فينتزعونها. ويذكر لأستاذه أبي علي الفارسي السبق في هذا المجال "وأنه خطر له وانتزع من علل هذا العلم ثلث ما وقع لجميع أصحابنا "[٤].

وقد صرح ابن جني بأن النحاة كانوا يلجأون إلى كتب الفقه لاستنباط العلل باللطف والمداراة حتى تصلح لهم وهذا ما ينم عن الصلة الوثيقة التي كانت بين العلمين يقول: " وكذلك

---

(١) الملخ، المصدر السابق، ص ٦٨ــ٦٩.

(٢) ابن جني، المصدر السابق، ١/٩٨.

(٣) المصدر نفسه، ١/١٢٥.

(٤) المصدر نفسه، ١/٢٦٧.

كتب محمد بن الحسن ـــ رحمه الله ـــ إنما ينتزع أصحابنا منها العلل؛ لأنهم يجدونها منثورة في أثناء كلامه مستوفاة محررة، وهذا معروف من هذا الحديث عند الجماعة غير منكور"[٥].

ويذهب الدكتور مازن المبارك إلى: [٦]" أن إشارة ابن الجني هذه كانـت إشـارة جزئيـة صريحة. فالصلة بين النحويين والفقهاء والمتكلمين صلة معروفة من قبل. ولكن ابن جنـي هـو الذي صرح بها، ووضع أمرها ودل على مكانها. بل كان أول من رأى وضع أصول النحو على طريقة الأصول الفقهية والكلامية ".

العلل الموجبة والعلل المجوزة:

وقد رأى ابن جني أن علل النحو على ضربين:

الضرب الأول: العلل التي تؤدي إلى إيجاب حكم نحوي ثبت بالسماع المطرد عن العـرب وذلك نحو: " قلب الألف واواً للضمة قبلها، وياء للكسرة قبلها. أما الـواو فنحـو قولـك فـي «سائر»: «سويئر»، وفي «ضارب»: « ضويرب».

وأما الياء فنحو قولك في نحو تحقير «قرطاس» وتكسيره: «قُـرَيْطِيس» و«قـراطيس». فهذا ونحوه مما لابد منه، من نقبل أنه ليس في القوة، ولا احتمال الطبيعة وقوع الألـف المـدة الساكنة بعد الكسرة ولا الضمة. فقلب الألف على هذا الحد علته الكسرة والضمة قبلها. فهذه علة برهانية ولا لبس فيها، ولا توقف للنفس عنها "[١].

---

[٥] المصدر نفسه، ١/٢١٧.

[٦] المبارك، المصدر السابق، ص ١٢٢.

[١] ابن جني، المصدر السابق، ١/١٣٧.

ويرى ابن جني: بـ " أن أكثر العلل مبناها على الإيجاب بها، كنصب الفضلة، أو ما شابه في اللفظ الفضلة، ورفع المبتدأ، والخبر، والفاعل، وجر المضاف إليه، وغير ذلك، فعلل هذه الداعية إليها موجبة لها، غير مقتصر بها على تجويزها، وعلى هذا مفاد كلام العرب "[٢].

أما الضرب الثاني: فهو الذي أسماه العلل المجوزة وهي التي يمكن للفصيح أن يتحملها بالرغم من ثقلها والكلفة الشديدة في أدائها وذلك نحو: " قلب واو «عصفور» ونحوه ياء إذا انكسر ما قبلها، نحو: «عصيفير» و«عصافير»، ألا ترى أنه قد يمكنك تحمل المشقة في تصحيح هذه الواو بعد الكسرة، وذلك بأن تقول: «عصيفور» و«عصافور». وكذلك نحو: «موسر»، و«موقن»، و«ميزان»، و«ميعاد»، لو أكرهت نفسك على تصحيح أصلها لأطاعتك عليه، وأمكنتك منه، وذلك قولك: «موزان»، و«موعاد»، و«ميسر»، و«ميقن» "[٣].

ويقول ابن جني أيضاً: " ومن علل الجواز أن تقع النكرة بعد المعرفة التي يتم الكلام بها، وتلك النكرة هي المعرفة في المعنى، فتكون حينئذ مخيراً في جعلك النكرة ــ إن شئت ــ حالاً، و ــ إن شئت ــ بدلاً، فتقول على هذا: "مررت بزيد رجل صالح"، على البدل، وإن شئت قلت "مررت بزيد رجلاً صالحاً"، على الحال "[١].

ويفرق ابن جني بين العلة والسبب، ويسمي الأولى العلة الموجبة، والثانية العلة المجوزة، يقول ابن جني[٢]: " وضرب آخر يسمى علة وإنما هو في الحقيقة سبب يجوز ولا يوجب.

من ذلك الأسباب الستة الداعية إلى الإمالة ... وأن كل مماللعلة من تلك الأسباب لك أن تترك إمالته مع وجودها فيه، فهذه إذاً علة الجواز لا علة الوجوب ". فالعلة هي التي توجب

---

[٢] المصدر نفسه، ١/٢١٨.
[٣] المصدر نفسه، ١/١٣٧ــ١٣٨.

[١] المصدر نفسه، ١/٢١٩.
[٢] المصدر نفسه، ١/٢١٨.

الحكم النحوي، وتنفي غيره، والسبب هو الذي يجيز الحكم النحوي، ولا ينفي غيره، لكن النحاة في عمومهم يدخلون السبب في دائرة العلة، ويجعلونه مرادفاً لمصطلح العلة.

ويذهب ابن جني إلى أن العلة النحوية ليست مطلقة بل هي مقيدة بالوصف أو بالتخصيص، وإلا تخلفت في بعض المواضع عن معلولها، وقصرت عن الجري معه على نهج واحد " إن هذه العلل التي يجوز تخصيصها، كصحة الواو إذا اجتمعت مع الياء،وسبقت الأولى منهما بالسكون في نحو: «حيوة»، و"عوى الكلب عوية".

ونحو صحة الواو، والياء، في نحو: «غَزَوا»، و«رميا»، و«النَّزَوان»، و«الغليان»، وصحة الواو في نحو: «اجتوروا»، و«اعتونوا»، و«اهتوشوا»، إنما اضطر القائل بتخصيص العلة فيها وفي أشباهها؛ لأنه لم يحتط في وصف العلة، ولو قدم الاحتياط فيها لأمن الاعتذار بتخصيصها "[٣].

ويرى الدكتور حسن خميس الملخ "أن الاحتياط أو التقييد في العلة بالوصف أو التخصيص يطوي الحالات النائية عن العلة تحت جناحيها، كما في عد الفاعلية علة الرفع إذ تخرج عن هذه العلة الأسماء المبنية، والجمل المصدرية، لأنها ليست مرفوعة حقيقة، لهذا ينبغي تقييد علة الفاعلية بأنها علة رفع الفاعل حقيقة نحو: جاء زيدٌ، أو محلاً نحو: جاء هذا، أو تقديراً نحو: يشرفني أنني تلميذك وكلما تعددت جهات نقض العلة احتاجت إلى التقييد "[٤].

كما يذهب ابن جني في موضع آخر إلى إن إهمال تقييد العلة يؤدي إلى القدح فيها، وردها، لأن مجموع ما يورده المعترض على العلة لا يخرج عن عدم استتباب حدها مع معلولها، أو عدم انطباق وصفها على المعلول بها. يقول: " فإذا جرت العلة في معلولها، واستتبت على منهجها وأمها قوي حكمها، واحتمى جانبها، ولم يسع أحداً أن يعرض لها إلا

---

[٣] المصدر نفسه، ١/١٩٩.

[٤] الملخ، المصدر السابق، ص ٦٧.

بإخراجه شيئاً إن قدر على إخراجه منها. فأما أن يفصلها ويقول: بعضها هكذا، وبعضها فمردوده عليه، ومرذول عند أهل النظر فيما جاء به "[١].

وعلل النحاة على اختلافهم متقاربة في المسألة الواحدة، لكن شرود شواهد مسموعة عن كلام العرب أشعل حدة الخلاف بينهم، وغذاه، فاحتيج إلى رأب صدع الخلاف بينهم بتقييد العلة، والخلاف بين النحاة أعم منه بين العرب، " وذلك أن العلماء اختلفوا في الاعتلال لما اتفقت العرب عليه، كما اختلفوا أيضاً فيما اختلفت العرب فيه، وكل ذهب مذهباً، وإن كان بعضه قوياً، وبعضه ضعيفاً "[٢].

ويتعرض ابن جني لعلة العلة، أو العلل الثواني وما بعدها فهو ينكر ما ذهب إليه ابن السراج من تسمية علة العلة يقول ابن جني[٣]: " وهذا موضع ينبغي أن تعلم منه أن هذا الذي سماه علة العلة إنما هو تجوز في اللفظ، فأما في الحقيقة فإنه شرح وتفسير وتتميم للعلة ".

فوصف العلة أو تخصيصها في مواضع محددة تتميم لها، وليس من قبيل تعليل العلة. ويتبين لنا من خلال هذا الرأي أن ابن جني يعتبر من أوائل النحاة الذين أنكروا هذا الإسفاف في التعليل والإلحاح في تتبع العلل لأن ذلك يؤدي إلى الضعف، وكان بذلك سابقا لابن مضاء القرطبي الذي أنكر العلل الثواني والثوالث.

ولقد أقر ابن جني بأن العلة قد تتعدد بتعدد جهات تعليل المعلول، وتعدد العلل عند ابن جني له صورتان:

الأولى الحكم الواحد تتجاذبه علتان أو أكثر مثل الاختلاف في رفع المبتدأ، أو رفع خبر إن، مما يتجاذب الخلاف في علله، والحكم واحد، يقول: " الأول منهما ترفع المبتدأ، فإننا نحن نعتل لرفعه بالابتداء، على ما قد بيناه، وأوضحناه من شرحه وتلخيص معناه، والكوفيون

---

[١] ابن جني، المصدر السابق، ١/٢٠٥.
[٢] المصدر نفسه، ١/٢٢٣.
[٣] المصدر نفسه، ١/٢٢٩.

يرفعونه إما بالجزء الثاني الذي هو مرافعة عندهم، وإما بما يعود عليه من ذكره على حسب مواقعه، وكذلك رفع الخبر ورفع الفاعل ... فكل واحد من هذه الأشياء له حكم واحد تتنازعه العلل "[1].

والثانية: " الحكمان في الشيء الواحد المختلفان دعت إليها علتان مختلفتان، وذلك كإعمال أهل الحجاز ما النافية للحال، وترك بني تميم أعمالها، وإجرائهم إياها مجرى«هل» ونحوها مما لا يعمل، فكأن أهل الحجاز لما رأوها داخلة على المبتدأ والخبر دخول ليس عليها، ونافية للحال نفيها إياها، أجروها في الرفع والنصب مجراها إذا اجتمع فيها الشبهان بها، وكأن بني تميم لما رأوها حرفاً داخلاً بمعناه على الجملة المستقلة بنفسها، ومباشرة لكل واحد من جزأيها، كقولك: "ما زيد أخوك"، و"ما قام زيد"، أجروها مجرى «هل»، ألا تراها داخلة على الجملة لمعنى النفي دخول «هل» عليها للإستفهام، ولذلك كانت عند سيبويه لغة التميميين أقوى قياساً من لغة الحجازيين "[2].

ملاحظة العرب للعلل في كلامها:

نحن نعلم أن علماء اللغة كانوا على مذهبين:

المذهب الأول يرى أن العرب كانوا يتأملوا مواقع الكلام.

أما المذهب الآخر فإنهم رأوا بأنهم كانوا يتكلمون سليقة وطبيعة من غير تأمل لمواقع الكلام.

وقد ذهب أبو الفتح المذهب الأول، وأكده، وكرر في مواطن عديدة من كتبه يقول: وكان أبو الحسن يذهب إلى أن ما غير لكثرة استعماله إنما تصورته العرب قبل وضعه، وعلمت أنه لابد من كثرت استعمالها إياه فابتدأوا بتغييره؛ علماً بأن لابد من كثرته الداعية إلى تغييره ... وقد كان أيضاً أجاز أن يكون قد كانت قديماً معربة فلما كثرت غيرت فيما بعد.

---

[1] المصدر نفسه، ٢٢٩/١.

[2] المصدر نفسه، ٢٢٩/١.

والقول عندي هو الأول؛ لأنه أدل على حكمتها وأشهد لها بعلمها بمصاير أمرها، فتركوا بعض الكلام مبنياً غير معرب؛ نحو: «أمس»، و«هؤلاء»، و«أين» "[١].

وجاء عنه أيضاً " فإن قلت: ومن أين يعلم أن العرب قد راعت هذا الأمر واستشفته، وعنيت بأحواله وتتبعته، حتى تحامت هذه المواضع التحامي الذي نسبته إليها، وزعمته مراداً لها؟ ... قيل له هيهات! ما أبعدك عن تصور أحوالهم، وبعد أغراضهم ولطف أسرارهم "[٢].

فابن جني حينما رأى بأن العرب كانوا يتأملون مواقع الكلام أن القواعد كانت مفهومة لدى متحدثيهم فأكيد أنه كان يقصد بذلك العرب الفصحاء. الذين لم تفسد ألسنتهم بمخالطة الأعاجم وكانت غاية ابن جني من ذلك أن يبين لنا حكمة العرب في لغتها.

وبذلك يكون ابن جني قد أولى التعليل النحوي درجات من العناية والاهتمام، حيث كان ذا عقلية تعليلية تحليلية، إذ أننا وجدناه بحماسته هذه التي كان يدافع بواسطتها على علل النحويين مولعاً بالتعليل النحوي إلى حد الإسراف، وهو أول من أراد تأليف أصول النحو على مذهب أصول الفقه والكلام. ولذلك جعل علل النحويين أقرب إلى علل المتكلمين منها إلى علل المتفقهين.

---

[١] المصدر نفسه، ٢/٣١.

[٢] المصدر نفسه، ١/١١٨.

الفصل الثالث

مباحث في اللغة والنحو والتصريف عند ابن جني

لقد صنف ابن جني في جميع فروع اللغة العربية، وضمن مؤلفاته الكثيـــر والكثيـــر مـــن المسائل المتعلقة باللغة، والنحو، والتصريف، ولذلك فقد ضمّنت هذا الفصل أربعة مباحث، فـــي مسائل متفرقة أهتم بها ابن جني، وهي حسب الآتي: ــ

المبحث الأول: تعريف النحو عند ابن جني والتفريق بين النحو والإعراب.

المبحث الثاني: علل التثنية.

المبحث الثالث: الاشتقاق.

المبحث الرابع: الأصوات عند ابن جني.

المبحث الأول

تعريف النحو عند ابن جني والتفريق بين النحو والإعراب

النحو لغة: الطريق، وأيضاً: الجهة. يقال نحوت نحو فلان، أي جهته. وجمعه: أنْحاءٌ ونُحُوٌّ، كَعُتُلّ. والنحو: القصد، يكون ظرفاً ويكون اسماً. قال ابن سيده استعملته العرب ظرفاً وأصله المصدر؛ ومنه نحو العربية. وهو إعراب الكلام العربي.[١]

وقد عرف ابن جني النحو بأنه: " انتحاء سمت كلام العرب، في تصرفه من إعراب وغيره، كالتثنية، والجمع، والتحقير، والتكسير والإضافة، والنسب، والتركيب، وغير ذلك؛ ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة فينطق بها وإن لم يكن منهم، وإن شذ بعضهم عنها رد به إليها "[٢].

فقد ذكر ابن جني أن العرب استعملت هذا اللفظ ظرفاً، وأصله المصدر. فـ" نحوت نحواً" كقولك: "قصدت قصداً" ثم خص به انتحاء هذا القبيل من العلم، كما أن الفقه في الأصل مصدر: "فقهت الشيء" أي عرفته، ثم خص به علم الشريعة من التحليل والتحريم، وكما أبيت الله خص به الكعبة، وإن كانت البيوت كلها لله. وله نظائر في قصر ما كان شائعاً في جنسه على أحد أنواعه "[٣].

---

[١] الزبيدي، محمد بن محمد،(د.ت)، **تاج العروس من جواهر القاموس**،(د.ط)، (د.م)، دار الهداية،٤٠/٤١.

[٢] ابن جني، **الخصائص**، ١/٧٨.

[٣] المصدر نفسه، ١/٧٨.

الإعراب لغة: " مصدر «أعربت عن الشيء» إذا أوضحت عنه، وفلان معرب عما في نفسه أي: مبين له، وموضح عنه، ... وأصل هذا كله قولهم: " العرب" وذلك لما يعزى إليها من الفصاحة، والإعراب، والبيان"[٤].

ويقول عنه ابن جني: " هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ "[٥].

فبالإعراب فرق ابن جني بين المعاني، الفاعل، والمفعول، والنفي، والتعجب، والاستفهام، وسائر أبواب النحو. " ألا ترى أنك إذا سمعت: "أكرم سعيدٌ أباه"، و«شكر سعيداً أبوه»، علمت برفع أحدهما ونصب الآخر الفاعل من المفعول، ولو كان الكلام شرجاً واحداً لاستبهم أحدهما من صاحبه "[١].

فالإعراب عند ابن جني ضد البناء في المعنى ومثله في اللفظ، والفرق بينهما زوال الإعراب لتغير العامل وانتقاله ولزوم البناء الحادث عن غير عامل وثباته[٢].

وجعل ابن جني تسمية العرب أصلاً لمصطلح الإعراب في قوله: " وأصل هذا كله قولهم العرب لما يعزى إليها من الفصاحة والإعراب والبيان "[٣].

واستقرى ابن جني المعنى نفسه في تسمية يوم الجمعة بالعروبة: " ومنه عندي عروبة والعروبة الجمعة، وذلك أن يوم الجمعة أظهر أمراً من بقية أيام الأسبوع لما فيه من التأهب لها، والتوجه إليها، وقوة الإشعار بها "[٤].

ولم يغفل ابن جني الإشارة إلى دلالة مصطلح الإعراب على تغير حركات أواخر الكلمات في الجمل واختلافها وتنوعها، فذهب إلى أن من معاني الإعراب التغيير والاستحالة من حال إلى

---

[٤] المصدر نفسه، ١/٨٠.

[٥] المصدر نفسه، ١/٧٩.

[١] المصدر نفسه، ١/٧٩.

[٢] ابن جني، أبو الفتح عثمان، (١٩٧٢م)، **اللمع في العربية**، (د.ط)، الكويت: دار الكتب الثقافية، ص ١٠.

[٣] ابن جني، **الخصائص**، ١/٨٠ـ٨١.

[٤] المصدر نفسه، ١/٨١.

حال، إذ يقول: " ولما كانت معاني المسميين مختلفة، كان الإعراب الدال عليها مختلفاً أيضاً، وكأنه من قولهم: عربت معدته، أي فسدت، كأنها استحالت من حال إلى حال، كاستحالة الإعراب من صورة إلى صورة "(٥).

وبذلك فالنحو عند ابن جني ليس الإعراب، بل هو أشمل منه.

المبحث الثاني

علل التثنية

لقد ألف ابن جني في علل التثنية كتاباً تدور مادته حول ما تؤديه «الألف، والياء» في المثنى من وظائف، مع ذكر آراء علماء المدرستين البصرية والكوفية، وبيان الرأي الراجح منها، ومناقشة الآراء مناقشة دقيقة والوقوف على رأي سيبويه باعتباره هو الرأي الراجح عند ابن جني وشيخه أبي علي الفارسي(١).

وقد اعتمد ابن جني في مواضع كثيرة على آراء شيخه أبي علي الفارسي من اجل دفع أقوال نحاة الفريقين الذين خالفوا رأي سيبويه. وقد جاء بحث ابن جني مرتباً دقيقاً، فبعد أن ذكر وظيفة الألف في المثنى، شرع في بيان آراء العلماء فيها، ثم اختار رأي سيبويه لكونه أقوى الأقوال في هذه المسألة وبدأ بذكر الأدلة التي توثق قول سيبويه ثم دفع الأقوال التي يمكن أن

---

(٥) المصدر نفسه، ١/٨٢.

(١) ابن جني، أبو الفتح عثمان، (١٩٩٢م)، **علل التثنية**، (ط١)، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ص٣٥.

ترد على هذا القول، ثم أفسد الآراء المخالفة له الواحد تلو الآخر، وهو في كل موضع نراه الرجل الناقد الدقيق المنصف غير المتعصب[٢].

وقد اعتمد ابن جني في شرحه لعلل التثنية على الأدلة الموضوعة؛ لأنه في مجال التعليم وشرح القواعد، وأقرب الطرق لبيان القاعدة هو طريق الأمثلة. ومن حيث الأدلة العقلية، فتعليلاته مقنعة، حيث يطرح القضية ويحاول مناقشتها من كل جوانبها ويعلل لذلك بأدلة توافق واقع اللغة، وكلام العرب، دون التعمق أو التفلسف بل بأدلة واضحة وبسيطة، توضح ما يريده ويقصده، وتصل إلينا بسرعة ومن هذا قوله: "وحركة نون التثنية كسرة، وحركة نون الجمع الذي على حد التثنية فتحة، وكلتاهما متحركة بالتقاء الساكنين وخالفوا الحركة للفرق بين التثنية والجمع، وكانت نون التثنية أولى بالكسر من نون الجمع، لأنه قبلها ألف، وهي خفيفة والكسرة ثقيلة فاعتدلا. وقبل نون الجمع واو، وهي ثقيلة، ففتحوا النون ليعتدل الأمر "[٣].

واعتمد ابن جني في تعليل القواعد والأحكام على التعليلات التعليمية المباشرة، فنراه في حديثه عن نون الأفعال الخمسة يقول: " وأما النون في «يقومان، وتقومان، ويقومون، وتقومون» فإنها تقوم مقام الضمة في يقوم ويقعد وليست من أصول الإعراب ... وفي بيان ضعف إعراب الفعل المضارع أنك إذا ثنيت الضمير فيه أو جمعته أو أنثته أنك تجده بغير حرف إعراب، ألا ترى أنه لو كان لـ«يقومان» حرف إعراب لم يخل حرف إعرابه من أن يكون الميم أو الألف أو النون. فمحال أن يكون الميم حرف إعراب، لأن الألف بعدها قد صيغت معها، فحصلت الميم لذلك حشواً لا طرفاً، ومحال كون حرف الإعراب وسطاً، ولا يجوز إلا أن يكون آخراً لا طرفاً"[١]. وهكذا إلى أن يبطل كون الألف والنون حرفا إعراب إلى أن يقول: " وإذا لم يجز أن تكون الميم حرف إعراب، ولا الألف، ولا النون، علمت أنه لا حرف إعراب في الكلمة، وإذا لم يكن لها حرف إعراب، دلك ذلك على أن الإعراب فيها ليس له تمكن الإعراب الأصلي الذي هو

---

[٢] المصدر نفسه، ٣٧.

[٣] المصدر نفسه، ٨٥ــ٨٦.

[١] المصدر نفسه، ٨٨ــ٩٠.

الحركة. فإذا كان ذلك علمت أن النون في« قومان» تقوم مقام الضمة في يقوم، وأنه لـيس لهـا تمكن الحركة، وإنما هي دالة عليها، ونائبة عنها "[٢].

فالمتأمل لهذه المسالة يرى كيف إن ابن جني توصل إلى فكرته بتسلسـل علمـي واضـح ومترابط، وكيف أن حرف إعراب الضارع هذا لا يخلو من أن يكون هنـا المـيم أو الألـف أو النون ثم أخذ يناقش حرف حرف ثم نفى أن يكون واحد من هذه الحروف حرف إعراب، ليثبـت في الأخير أن النون إنما هي قائمة مقام الضمة في يقوم، دون أن يفاجئ المتلقـي المـتعلم بمـا يريده مباشرة فلا يصل بعد ذلك لغرضه.

ويقول ابن جني[٣]: " فإن قال قائل: فإذا كانت الألف حرف الإعراب، فما بالهم قلبوها في الجر والنصب؟ وهلا دلك قلبها على أنها ليست كـ«دال» زيد، إذ الدال ثانية على كـل حـال؟ فالجواب عن ذلك من وجهين: أحدهما أن انقلاب الألف في الجر والنصب، لا يمنع من كونهـا حرف إعراب، لأنا قد وجدنا ـ فيما هو حرف إعراب بلا خلاف بين أصحابنا ـ هذا الانقـلاب وذلك «ألف» «كلا، وكلتا» من قولهم: قام الرجلان كلاهما، والبنتان كلتاهمـا. ومـررت بهمـا كليهما وكلتيهما. وضربتهما كليهما وكلتيهما. فكما أن «الألف» في «كلا، وكلتا» حرف إعـراب وقد قلبت كما رأيت، فكذلك أيضاً «ألف التثنية» هي حرف إعـراب، وقـد قلبـت فـي الجـر والنصب".

ويستمر ابن جني في ذكر العلل في قلبها في الجر والنصب، ويقيس ذلك بكلام العرب في مواضع أخرى، حتى يفند رأي من يخطر على باله هذا الاعتراض، وإن لم يكن موجوداً. وهـذا الأسلوب كثير في كتابه هذا، فهو يكثر من ذكر الأسئلة والإجابة عليها.

ولا يقتصر ابن جني على تفنيد آراء من يخالفهم بل يتخيل أيضاً معترضين ويقوم بتفنيـد هذه الاعتراضات.

---

[٢] المصدر نفسه، ٩٢ـ٩٣.

[٣] المصدر نفسه، ٥٤ـ٥٥.

يقول في الرد على الأخفش: "فأما قول أبي الحسن: أن الألف ليست حرف إعـراب، ولا هي إعراب، ولكنها دليل الإعراب، فإذا رأيت الألف علمت أن الاسم مرفوع، وإذا رأيت اليـاء علمت أن الاسم مجرور أو منصوب قال [الأخفش]: ولو كانت حروف إعراب لما علمـت بهـا رفعاً من نصب، ولا جر ... وهذا الذي ذكره غير لازم، وذلك أنا قد رأينا حروف إعراب بـلا خلاف تفيدنا الرفع والنصب، والجر، وهي أبوك وأخواته "[١].

ثم يستمر في مناقشة قول الأخفش، وكيف أنه يرفضه بأسلوب لبق لا يوجد فيه تجريح.

ويقول في موضع آخر في الرد على قول الفراء والزيادي: "وأما قـول الفـراء، وأبـي إسحاق الزيادي: أن الألف هي إعراب. فهو أبعد الأقوال من الصواب "[٢].

وإن كان ابن جني قد استخدم هذه العبارات، إلا أن لم يستخدم أسلوب التجريح أو السـب، بل كان لطيفاً في الرد لأنه بعد أن ذكر هذه العبارات أخذ يناقش سبب رفضه لهذه الآراء بالأدلة التي يسوقها.

المبحث الثالث

---

[١] المصدر نفسه، ٦٣ـ٦٤.

[٢] المصدر نفسه، ٦٩.

الاشتقاق

الاشتقاق في اللغة: الاقتطاع[1].

وعرفه الرماني بقوله: " الاشتقاق اقتطاع فرع من أصل يدور في تصاريفه على الأصل فقد تضمن هذا الحد معنى الاشتقاق ولزم منه التعرض للفرع والأصل "[2].

والاشتقاق " نزع لفظ من آخر بشرط تناسبهما معنى وتركيباً، وتغايرهما في الصيغة بحرف أو بحركة، وأن يزيد المشتق على المشتق منه بشيء، كضارب أو مضروب يوافق «ضَرْباً» "[3].

ولعل أول من ألف في الاشتقاق «الأصمعي» في كتيب سماه الاشتقاق، وأراد العلماء الأوائل من الاشتقاق ما عرف لاحقاً بالاشتقاق الصغير/ الأصغر أو العام وهو الاشتقاق التصريفي، وقد عني به البصريون الذين كانوا يرون أن الكلام يشتق بعضه من بعض وأن المصدر أصل اللغات. وهذا موقف البصريين، وكان ابن جني تلميذهم الوفي. أما الكوفيون فيرون أن المصدر مشتق من الفعل.

ولقد طور اللغويون درس الاشتقاق فاستنبطوا له أنواعاً لا نوعاً واحداً وما أن أهل القرن الرابع الهجري حتى عرفنا للاشتقاق ثلاثة أنواع هي:

١) الاشتقاق الصغير/ العام.

٢) الاشتقاق الكبير، وهو الإبدال.

---

[1] السبكي، علي بن عبد الكافي، (١٤٠٤هـ)، **الإبهاج في شرح المنهاج**، (ط١)، بيروت: دار الكتب العلمية ٢٢٢/١.

[2] العكبري، أبو البقاء، (١٩٩٢م)، **مسائل خلافية في النحو**، (ط١)، بيروت: دار الشرق العربي، ص ٧٤.

[3] الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن، (١٩٨٧م)، **المفتاح في الصرف**، (ط١)، بيروت: مؤسسة الرسالة، ص ٦٢.

٣) الاشتقاق الأكبر، وهو الاشتقاق التقليبي. وصاحب تسميته ابن جني على ما صرح في باب الاشتقاق الأكبر. على أن ابن جني أعترف بالفضل لشيخه أبي علي الفارسي الذي كان يأنس به.

يقول ابن جني[١]: " هذا موضع لم يسمه أحد من أصحابنا؛ غير أن أبا علي ـــ رحمه الله ـــ كان يستعين به، ويخلد إليه، مع إعواز الاشتقاق الأصغر، لكنه مع هذا لم يسمه، وإنما كان يعتاده عند الضرورة، ويستروح إليه ويتعلل به، وإنما هذا التقليب لنا نحن، وستراه فتعلم أنه لقب مستحسن ".

ويرى ابن جني أن الاشتقاق نوعان: صغير وكبير، " وذلك أن الاشتقاق عندي على ضربين: كبير وصغير فالصغير ما في أيدي الناس وكتبهم كأن تأخذ أصلا من الأصول فتتقراه فتجمع بين معانيه وإن اختلفت صيغه ومبانيه. وذلك كتركيب « س ل م » فإنك تأخذ منه معنى السلامة في تصرفه نحو سلم ويسلم وسالم وسلمان وسلمى والسلامة والسليم: اللديغ أطلق عليه تفاؤلا بالسلامة ... فهذا هو الاشتقاق الأصغر.

وأما الاشتقاق الأكبر فهو أن تأخذ أصلاً من الأصول فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحداً تجتمع التراكيب الستة وما يتصرف من كل واحد منها عليه وإن تباعد شيء من ذلك عنه رد بلطف الصنعة والتأويل إليه كما يفعل الاشتقاقيون ذلك في التركيب الواحد ... نحو: «ك ل م» «ك م ل» «م ك ل» «م ل ك» «ل ك م» «ل م ك» وكذلك «ق و ل» «ق ل و» «و ق ل» «و ل ق» «ل ق و» «ل و ق» وهذا أغوص مذهباً وأحزن مضطرباً. وذلك أنا عقدنا تقاليب الكلام الستة على القوة والشدة وتقاليب القول الستة على الإسراع والخفة "[٢].

وبذلك يتكون من كل أصل عدد من الصور، ست صور للحروف الثلاثة، وأربع وعشرون للأربعه، ومائة وعشرون للخمسة.

---

[١] ابن جني، **الخصائص**، ٢/١٣٢.

[٢] المصدر نفسه، ٢/١٣٢ـــ١٣٣.

ولكن بعض اللغويين، ومنهم السكاكي سمى هذا اللون من اللون من الاشـــتقاق بالاشـــتقاق الكبير.

واعترف ابن جني بعدم اطراد الاشتقاق الأكبر في كل ألفاظ اللغة. "واعلم أنا لا ندعي أن هذا مستمر في جميع اللغة، كما لا ندعي للاشتقاق الأصغر أنه في جميع اللغة "[٣].

والذي فتح الباب لابن جني في الاشتقاق الأكبر عمل الخليل في معجم العين.

وذكر ابن جني بأن الاشتقاق يقع في الحروف ومثل لذلك بـــ«نعم» حرف جواب والـــنعم، والنعيم، والتنعيم، والنعماء، ونحوها مشتقة منه[١].

ويرى ابن جني أنه لا يمكن الاشتقاق من الكلمات التي تتكون من أقل من ثلاثة أحـــرف، يقول: " لا يمكن الاشتقاق من كلمة على أقل من ثلاثة أحرف، فيلزمك على ذلك أن تزيد علـــى الألف ألفاً أخرى، ليكون الثاني من لفظ الأول كما أنك إذا سميت رجلاً لا زدت على الألف ألفـــاً أخرى وهمزتها لأنك حركتها لالتقاء الساكنين فقلت لاء وفي ذا ذاء وفي ما مـــاء فتزيـــد علـــى الألف من لا وهي ساكنة كما ترى ألفاً أخرى "[٢].

---

[٣] المصدر نفسه، ٢/١٣٦.

[١] المصدر نفسه، ٢/٣٥.

[٢] ابن جني، أبو الفتح عثمان، (١٩٨٥م)، **سر صناعة الإعراب**، (ط١)، دمشق: دار القلم، ٢/٨٠٧.

المبحث الرابع

الأصوات عند ابن جني

الصوت لغة: الجرس، والجمع أصوات. قال ابن السكيت: الصوت صوت الإنسان وغيره، والصائت: الصائح، ورجل صيّت: أي شديد الصوت[1]. ورجل صائت: حسن الصوت شديده. وكل ضرب من الأغنيات صوت من الأصوات[2].

وتعريف الصوت مرتبط بأبعاده وموارده، ومتعين بتقييده بمراده، وقد أعطى الراغب (ت:٥٠٢ هـ) خلاصة دقيقة لهذه المصادر، بعد اعتباره " الصوت الهواء المنضغط عن قرع جسمين، وذلك ضربان: صوت مجرد عن تنفس بشيء كالصوت الممتد، وتنفس بصوت ما. والمتنفس نوعان: غير اختياري كما يكون من الجمادات ومن الحيوانات، واختياري كما يكون من الإنسان، وذلك ضربان : ضرب باليد كصوت العود وما يجري مجراه، وضرب بالفم.

---

[1] ابن منظور، (د.ت)، **لسان العرب**، (ط١)، بيروت: دار صادر، ٥٧/٢.

[2] الفراهيدي، الخليل بن أحمد، (د.ت)، **كتاب العين**، **(د.م)**، دار مكتبة الهلال ١٤٦/٧.

والذي بالفم ضربان: نطق وغير نطق، وغير النطق كصوت الناي، والنطق منه إما مفــرد مــن الكلام وإما مركب كأحد الأنواع من الكلام[٣].

والصوت لغوياً : " عرض يخرج مع النفس مستطيلاً متصلاً حتى يعرض له فــي الحلــق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته ، فيسمى المقطع أينمــا عــرض لــه حرفــاً، وتختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها "[٤].

فهذا التعريف معني بملامح الصوت اللغوي دون سواه، بدليل تحديده مقاطع الصوت التي تثنيه عن الامتداد والاستطالة، ويسمى وقفة الانثناء مقطعاً في صيغة اصطلاحية دقيقة، ويســمى المقطع عند الانثناء حرفاً، ويميز بين الجرس الصوتي لكل حرف معجمــي بحســب اخــتلاف مقاطع الأصوات، فتلمس لكل حرف جرساً، ولكل جرس صوتاً.

ولما كانت اللغة أصواتاً يعبر بها كل قوم عن أغراضهم. فالصوت بوصفه لغويــاً يعنــي: تتبع الظواهر الصوتية لحروف المعجم العربي، وذلك من حيث مخارج الأصــوات ومــدارجها، وأقسامها وأصنافها، وأحكامها وعللها، ودلائلها وخصائصها في أحوال الجهر والهمــس والشــدة والرخاوة، وملامح صوائتها وصوامتها في السكون وعند الحركة، وضــوابطها فــي الأطبــاق والانفتاح.

ومن هنا فقد عرفنا أن الأوائل من علماء العربية قد مهدوا بين يــدي الأوروبيــين جــادة البحث المنظم في استكناه الصوت اللغوي، وأسهموا إسهاماً حقيقياً في إرساء ركائزه الأولى، مما أتاح لهم فرصة الاستقرار المبكر لحقيقة الأصوات اللغوية، وسهل عليهم خوض الموضوع بكــل تفصيلاته المضنية، وترويض جماح تعقيداته المتشعبة، مما سجل للعرب في لغة القرآن أســبقية الكشف العلمي، والتوصل إلى النتائج التي تواضعت عليها اليوم حركة الأصواتيين العالمية، بعــد المرور بتجربة المعادلات الكاشفة، والأجهزة الفيزولوجية المتطورة التي أكدت صحة المعلومات

---

[٣] الراغب، الحسين بن محمد، (د.ت) **المفردات في غريب القرآن**، (د.ط)، لبنان: دار المعرفة١/٢٨٨.

[٤] ابن جني، **سر صناعة الإعراب**، ٦/١.

الهائلة التي ابتكرها العرب في هذا الميدان. ومصطلح علم الأصوات مصطلح عربي أصيل، لا شك في هذا لدنيا، وعلة ذلك: النص على تسميته صراحة دون إغماض، واستعمال مدلولاته في الاصطلاح الصوتي بكل دقة عند العرب القدامى، يقول ابن جني: " ولكن هذا القبيل من هذا العلم؛ أعني علم الأصوات والحروف له تعلق ومشاركة للموسيقى، لما فيه من صنعة الأصوات والنغم "[١].

فهو لا ينص عليه فحسب حتى يربطه بالإيقاع الموسيقي والنغم الصوتي، وكلاهما منه على وجه، ولا أحسب أن هذه التسمية الصريحة بهذه الدلالة الاصطلاحية الناصعة قد سبق إليها ابن جني من ذي قبل، فهو مبتدعها وهو مؤسس مصطلحها.

إن نظرة فاحصة في كتابه الجليل « سر صناعة الأعراب » تؤكد بكل جلاء كونه مخططاً حقيقياً لعلم الأصوات متكامل العدة والأسباب، من خلال المفردات الصوتية الفذة التي بحثها وصنف القول فيها، مبتدئا بتعداد حروف المعجم وضبط أصولها صوتياً، وإيغاله في وصف مخارج الحروف وصفاً دقيقاً، وتقسيمه الأصوات إلى الأقسام التي لم يزد عليها علم الأصوات الحديث جزءاً ذا بال، وخوضه لما يعرض على الحروف من حذف وترخيم وإعلال وإبدال وإدغام وإشمام، يضاف إلى هذا رهافة صوتية متأنقة، وذهنية لغوية وقادة، تمازج بين اللغة والصوت فتخالهما كياناً واحداً متماسكاً يشد بعضه بعضاً، ومقارنة هذه المناحي وملاحظتها، تجده يبتكر مصطلح « علم الأصوات » ويضعه موضع البحث الموضوعي الهادف، لهذا فإن ما تواضع عليه ابن جني من مصطلح علم الأصوات، يمكن أن يكون الأصل الاصطلاحي الأول لما استقر عليه المصطلح الأوروبي « الفونولوجي »: التشكيل الأصواتي، وهو يعني كل العناية بأثر الصوت اللغوي في تركيب الكلام نحوياً وصرفياً في ضوء الصوت والإيقاع لدى بحثه المصطلح، والذي تطور فيما بعد للكشف عن الأصوات الإنسانية العالمية المجهولة.

---

[١] المصدر نفسه، ١/٩.

وقد نهض ابن جني بأعباء الصوت اللغوي إذ تجاوز مرحلة البناء والتأسيس إلى مرحلة التأصيل والنظرية، فقد تعرض لقضية الأصوات في كتابه « سر صناعة الإعراب » مما جعله في عداد المبدعين، وخطط لموضوعات الصوت مما اعتبر فيه من المؤصلين، ونحن الآن بإزاء بيان المبادئ العامة لفكره الصوتي دون الدخول في جزئيات الموضوع.

ويجدر بنا في بداية ذلك أن ننتبه لملحظين مهمين ونحن نستعرض هذا الفكر في سر صناعة الإعراب[١]:

أ ـ إن ابن جني كان أول من استعمل مصطلحاً لغوياً للدلالة على هذا العلم ما زلنا نستعمله حتى الآن وهو « علم الأصوات ».

ب ـ إن ابن جني يعدّ الرائد في هذه المدرسة، وكان على حق في قوله في كتابه: " وما علمت أن أحداً من أصحابنا خاض في هذا الفن هذا الخوض، ولا أشبعه هذا الإشباع"[٢].

وبدءاً من المقدمة يعطيك ابن جني منهجه الصوتي، لتقرأ فيه فكره، وتتلمس فلسفته، وتتثبت من وجهته، فيذكر أحوال الأصوات في حروف المعجم العربي. " في مخارجها ومدارجها، وانقسام أصنافها، وأحكام مجهورها ومهموسها، وشديدها ورخوها، وصحيحها ومعتلها، ومطبقها ومنفتحها، وساكنها ومتحركها، ومضغوطها ومهتوتها، ومنحرفها ومشرّبها، ومستويها ومكررها، ومستعليها ومنخفضها، إلى غير ذلك من أحكامها وأجناسها "[٣].

وابن جني في هذا الاسترسال السلس يعطينا مهمة الفكر الصوتي في تحقيق المصطلحات بعامة عن طريق تشخيص المسميات التي أسماها، وإن سبق إلى بعضها عند الخليل وسيبويه وهو لا يكتفي بهذا القدر حتى يبحث الفروق، ويعين المميزات ويذكر الخصائص لكل حرف من هذه الأصناف، ويفرق بينها وبين الحركات، مع لوازم البحث ومقتضياته، إلماماً بجميع الجوانب،

---

[١] عمر، أحمد مختار، (١٩٨٢م)، **البحث اللغوي عند العرب**، (ط٤)، القاهرة: عالم الكتب، ص ٩٩.
[٢] ابن جني، **سر صناعة الإعراب**، ٥٦/١.
[٣] المصدر نفسه، ٤/١.

وتنقيباً عن كل النوادر المتعلقة بهذه الأبواب فيقول: " وأذكر فرق مابين الحرف والحركة، وأين محل الحركة من الحرف، هل هي قبله أو معه أو بعده؟ وأذكر أيضاً الحروف التي هي فروع مستحسنة، والحروف التي هي فروع مستقبحة، والحركات التي هي فروع متولدة عن الحركات، كتفرع الحرف من الحرف. وأذكر أيضاً ما كان من الحروف في حال سكونه له مخرج ما، فإذا حرك أقلقته الحركة، وأزالته عن محله في حال سكونه. وأذكر أيضاً أحوال هذه الحروف في أشكالها، والغرض في وضع واضعها، وكيف ألفاظها ما دامت أصواتاً مقطعة، ثم كيف ألفاظها إذا صارت أسماء معربة، وما الذي يتوالى فيه إعلالان بعد نقله، مما يبقى بعد ذلك من الصحة على قديم حاله، وما يمكن تركبه ومجاورته من هذه الحروف مما لا يمكن ذلك فيه، وما يحسن وما يقبح فيه ما ذكرنا، ثم أفرد فيما بعد لكل حرف منها باباً أغترف فيه ذكر أحواله وتصرفه في الكلام من أصليته وزيادته، وصحته وعلته، وقلبه إلى غيره، وقلب غيره إليه "[١].

إن هذا المنهج يكشف عن عمق الفكر الصوتي عند ابن جني إذ يعرض فيه عصارة تجاربه الصوتية دقيقة منظمة، ويتفرغ لبحث أصعب المشكلات الصوتية بترتيب حصيف يتنقل فيه من الأدنى إلى الأعلى، ومن البسيط إلى المركب حتى إذا تكاملت الصورة لديه، بدأ بالبحث المركز، فلا ترى حشوة ولا نبوة، ولا تشاهد تكراراً أو اجتراراً، فأنت بين يدي مناخ جديد مبوب بأفضل ما يراد من التصنيف والتأليف، فلا تكاد تستظهر علما مما أفاض حتى يلاحقك علم مثله كالسيل اندفاعاً، ولعل أبرز ما تعقبه في سر صناعة الإعراب لصوقاً بجوهر الصوت الخالص البحوث الآتية :

١ــ فرق ما بين الصوت والحرف.

٢ ــ ذوق أصوات الحروف.

٣ ــ تشبيه الحلق بآلات الموسيقى (المزمار، العود).

٤ ــ اشتقاق الصوت والحرف.

---

[١] المصدر نفسه، ١/٤ــ٥.

٥ ــ الحركات أبعاض حروف المد.

٦ ــ العلل وعلاقتها بالأصوات.

٧ ــ مصطلحات الأصوات العشرة التي ذكرها آنفاً مع ما يقابلها.

٨ ــ حروف الذلاقة.

٩ ــ حسن تأليف الكلمة من الحروف فيما يتعلق بالفصاحة في اللفظ المفرد، وتأصيل ذلك على أساس المخارج المتباعدة .

١٠ ــ خصائص كل صوت من حروف المعجم، وحيثياته، وجزئياته كافة، بمباحث متخصصة لم يسبق إليها في أغلبها، فهي طراز خاص في المنهج والعرض والتبويب.

ولو أضفنا إلى مباحث « سر صناعة الإعراب » جملة من مباحثه في جهوده الأخرى لا سيما في كتاب « الخصائص» لتوصلنا من ضم بعضها لبعض إلى مجموعة مفضلة من مباحث الصوت اللغوي يمكن رصدها وتصنيفها على النحو الآتي :

١ ــ الصوامت من الحروف والصوائت.

٢ ــ علاقة اللهجات بالأصوات.

٣ ــ علاقة الإعراب بالأصوات.

٤ ــ التقديم والتأخير في حروف الكلمات وتأثيرهما على الصوت.

٥ ــ علاقة الأفعال بالأصوات.

٦ ــ الإعلال والإبدال والإدغام وأثرها في الأصوات.

٧ ــ الأصوات وعلاقتها بالمعاني.

٨ ــ زيادة المبنى الصوتي وأثره في المعنى.

ويبدو لي أن هذه هي أهم الأصول العامة لمباحث الصوت اللغوي عند ابن جني في كتابيه، والتوسع في كل أصل يقتضي بحثاً متكاملاً في كل مقوماته، وبذلك يتوصل إلى فكره الصوتي، في العرض والأسلوب والنتائج، والسبيل ميسرة أمام الباحثين، ولا بد لنا من الإشارة لملامح هذا الفكر في نقاط، لأننا لسنا بإزاء تتبعه، بل بإزاء القربة إليه لرصد مميزاته ومنهجه في المعالجة والإفاضة والتصنيف.

أولاً : لقد تتبع ابن جني الحروف في المخارج، ورتبها ونظمها على مقاطع مستفيداً بما ابتكره الخليل، إلا أنه كان مخالفاً له في الترتيب، وموافقاً لسيبويه في الأغلب إلا في مقام تقديم الهاء على الألف، وتسلسل حروف الصفير [١].

وترتيب الحروف عند ابن جني على النحو التالي: الهمزة، الألف، الهاء، العين، الحاء، الغين، الخاء، القاف، الكاف، الجيم، الشين، الياء، الضاد، اللام، الراء، النون، الطاء، الدال، التاء، الصاد، الزاي، السين، الظاء، الذال، الثاء، الفاء، الباء، الميم، والواو.

وهذا الترتيب مخالف للخليل، وفيه بعض المخالفة لسيبويه في ترتيبه كما يظهر هذا لدى المقارنة في جدولة الترتيبين كما سبق.

وابن جني لا يخفي هذا الخلاف بل ينص عليه، ويذهب إلى صحة رأيه دونهما فيقول: "فهذا هو ترتيب الحروف على مذاقها وتصعدها، وهو الصحيح، فأما ترتيبها في كتاب العين ففيه خطل واضطراب ، ومخالفة لما قدمناه آنفاً مما رتبه سيبويه وتلاه أصحابه عليه، وهو الصواب الذي يشهد التأمل له بصحته "[٢].

ثانياً : ويضيف ابن جني إتماماً لنظريته في الأصوات: ستة أحرف مستحسنة على حروف المعجم العربي ، وثمانية أحرف فرعية مستقبحة، ولا يصح ذلك عنده إلا بالسمع والمشافهة، حتى تكون حروف المعجم مع الحروف الفرعية المستحسنة خمسة وثلاثين حرفاً، وهما مع الحروف الفرعية المستقبحة ثلاثة وأربعون حرفاً.

ولا معنى لهذه الإضافات من قبله لو لم يكن معنياً بالصوت، فحروف العربية تسعة وعشرون حرفاً، لا شك في هذا، ولكن الحروف المستقبحة والمستحسنة التي أضافها، وإن لم يكن لها وجود في المعجم العربي، إلا أن لها أصواتاً في الخارج عند السامعين، وهو إنما يبحث

---

[١] المصدر نفسه، ١/٤٦.

[٢] المصدر نفسه، ١/٤٥ـ٤٦.

في الأصوات فأثبتها، فعادت الأصوات في العربية عنده ثلاثة وأربعين صوتاً، وهو إحصاء دقيق، وكشف جديد، وتثبيت بارع.

وقد ذهب ابن جني في هذه الحروف مذهباً فنياً تدل عليه قرائن الأحوال، فهو يعطي استعمالها في مواطنه، وتشخيصها في مواضعه، فالحروف المستحسنة عنده، يؤخذ بها في القرآن وفصيح الكلام، وهي :

"النون الخفيفة، ويقال الخفية، والهمزة المخففة، وألف التفخيم، وألف الإمالة، والشين التي كالجيم، والصاد التي كالزاي . . . [والحروف الفرعية المستقبحة] وهي فروع غير مستحسنة، ولا يؤخذ بها في القرآن، ولا في الشعر، ولا تكاد توجد إلا في لغة ضعيفة مرذولة غير متقبلة وهي الكاف التي بين الجيم والكاف، والجيم التي كالكاف، والجيم التي كالشين، والضاد الضعيفة، والصاد التي كالسين، والطاء التي كالتاء، والظاء التي كالثاء، والباء التي كالميم "(١).

ثالثاً: ويحصر ابن جني مخارج الحروف في ستة عشر مخرجاً، ناظراً إلى موقعها في أجهزة النطق، ومنطلقاً معها في صوتيتها، ويسير ذلك بكل ضبط ودقة وأناقة،وهي حسب الآتي:

١) من أسفل الحلق وأقصاه، مخرج الهمزة والألف والهاء.

٢) ومن وسط الحلق مخرج العين والحاء.

٣) ومما فوق ذلك من أول الفم مخرج الغين والخاء.

٤) ومما فوق ذلك من أقصى اللسان مخرج القاف.

٥) ومن أسفل من ذلك وأدنى إلى مقدم الفم مخرج الكاف.

٦) ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم والشين والياء.

٧) ومن أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد.

---

(١) المصدر نفسه، ٤٦/١.

٨) ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان من بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى مما فويق الضاحك والناب والرباعية والثنية مخرج اللام.

٩) ومن طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا مخرج النون.

١٠)ومن مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلاً لانحرافه إلى اللام مخرج الراء.

١١) ومما بين طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج الطاء والدال والتاء.

١٢) ومما بين الثنايا وطرف اللسان مخرج الصاد والزاي والسين.

١٣) ومما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا مخرج الظاء والذال والثاء.

١٤) ومن باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا مخرج الفاء.

١٥) ومما بين الشفتين مخرج الباء والميم والواو.

١٦) ومن الخياشيم مخرج النون الخفية ويقال الخفيفة أي الساكنة فذلك ستة عشر مخرجاً[١].

وبذلك أسقط ابن جني الجوف كما هو حال سيبويه وأصحابه وكذلك الشاطبي.

يتحدث ابن جني عن مصدر الصوت، وكيفية حدوثه، وطريقة خروجه، وعوامل تقاطعه، واختلاف جرسه بحسب اختلاف مقاطعه، وبذلك يعطينا الفروق المميزة بين الأصوات والحروف فيقول: " اعلم أن الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلاً متصلاً، حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفاً، وتختلف أجراس الحروف بحسب مقاطعها، وإذا تفطنت لذلك وجدته على ما ذكرته لك، ألا ترى أنك تبتدىء الصوت من أقصى حلقك، ثم تبلغ به أي المقاطع شئت، فتجد له جرساً ما، فإن انتقلت عنه راجعاً منه أو متجاوزاً له ثم قطعت، أحسست عند ذلك صدى غير الصدى الأول، وذلك

---

[١] المصدر نفسه، ٤٦/١ـ٤٨.

نحو الكاف، فإنك إذا قطعت بها سمعت هنا صدى ما، فإن رجعت إلى القاف سمعت غيـره، وإن جزت إلى الجيم سمعت غير ذينك الأولين ..."[٢].

هذا العرض في إحداث الصوت كشف لنا عن مصطلح حـديث عنـد الأوروبيـين هـو المقطع، وأقف عنده لما استقطبه هذا الاصطلاح الذي سـيره « ابـن جنـي » مـن مناقشـات وممارسات أصواتية متميزة، كان هو الأساس فيها في الدلالة الدقيقة على المعنـى المـراد دون غيره عند الأصواتيين العالميين.

والأصوات عادة تتجمع في وحدات، تكون تلك الوحدات أكبر من الأصوات بالضـرورة، لأنها أطول مسافة صوتية، فتشكل في أكثر من صوت وحدة صوتية معينة، وأهم هذه الوحـدات هو المقطع الذي تذوقه ابن جني، فرأى فيه ما يثني الكلام عن استطالته وامتداده تارة، وما تحس به صدى عند تغير الحرف غير الصدى الأول تارة أخرى.

وقد جرى تأليف المقطع العربي على البدء بحرف صامت، ويثنى بحركة، ولا يبدأ بحركة إطلاقاً خلافاً للغات الأوروبية.

ومن المبادئ الأساسية أن اللغة العربية تبدأ كلماتها بمتحرك واحد، وتختمها إما بحركـة، فهو المقطع المفتوح. وإما بصامت، فهو المقطع المقفل. ومن غير الممكن في العربيـة أن تبـدأ الكلمة بمجموعة من الصوامت، أو أن يتخلل الكلمة أكثر من صامتين متجـاورين، أو أن تخـتم الكلمة بمجموعة من الأصوات الصامتة[١].

فحرف صامت + حركة = مقطع، وهذا هو المقطع القصير، وقد يضاف إلى هذا حـرف صامت، أو حركة أخرى، فيكون المقطع طويلاً، لأنه تجاوز الحد الأدنى مـن التكـوين، وهـو الحرف والحركة، وتخطاهما إلى ثالث، حركة كان هذا الثالث أم حرفاً.

---

[٢] المصدر نفسه، ١/٦.

[١] شاهين، عبد الصبور،(١٩٨٧م)، **أثر القراءات في الأصوات والنحـو العربـي**، (د.ط)، القـاهرة: مكتبـة الخانجي، ٤٠٩.

والعربية عادة تتكون الغالبية العظمى من كلماتها من ثلاثة مقاطع في المادة دون اشتقاقها، ففي الثلاثي خذ كلمة: « ذَهَب » في ثلاثة مقاطع هي : ذَ | هَـ | بَ ، وكل مقطع هنا مكون من حرف وحركة كما ترى.

قال ابن جني[٢]: " ذلك أن الأصول ثلاثة: ثلاثي، رباعي، وخماسي. فأكثرها استعمالاً، وأعدلها تركيباً الثلاثي، وذلك لأنه حرف يبتدأ به، وحرف يحشى به، وحرف يوقف عليه.

وليس اعتدال الثلاثي لقلة حروفه حسب، لو كان كذلك لكان الثنائي أكثر منه، لأنه أقل حروفاً ... فتمكن الثلاثي إنما هو لقلة حروفه ــ لعمري ــ ولشيء آخر، هو حجز الحشو الذي هو عينه، بين فائه ولامه، وذلك لتعادي حاليهما. ألا ترى أن المبتدأ لا يكون إلا متحركاً، وأن الموقوف عليه لا يكون إلا ساكناً، فلما تنافرت حالاهما وسطوا العين حاجزاً بينهما، لئلا يفجئوا الحسّ بضد ما كان آخذاً فيه، ومنصباً إليه ".

لقد أدرك الأصواتيون العرب هذا التخطيط المقطعي من ذي قبل فأكدوا عليه حتى في تقطيع الوزن العروضي للشعر عند الخليل في حدود، وهو ما أثبته ابن جني في برمجيته للمقاطع في تفصيله.

وهو نفسه ما تحدث عنه ابن جني، وهو الواقع في الفكر الصوتي عند العرب فالحرف لا ينطق وحده فيشكل صوتاً، إلا بانضمام الحركة إليه، فيتكون بذالك المقطع الصالح للتصويت.

وإن التوصل إلى حدود المقطع وتعريفاته عند الأوروبيين هو الذي ذهب إليه ابن جني، وأضاف إليه ذائقة كل مقطع، قال : " وسبيلك إذا أردت اعتبار صدى الحرف أن تأتي به ساكناً لا متحركاً، لأن الحركة تقلق الحرف عن موضعه ومستقره، وتجتذبه إلى جهة الحرف التي هي بعضه ، ثم تدخل عليه همزة الوصل مكسورة من قبله، لأن الساكن لا يمكن الابتداء به، فتقول : اك، اق، اج؛ وكذلك سائر الحروف، إلا أن بعض الحروف أشد حصراً للصوت من بعضها "[١].

---

[٢] ابن جني، **الخصائص**، ١/١٠١ــ١٠٢.

[١] ابن جني، **سر صناعة الإعراب**، ١/٦ــ٧.

وهذا ما نتعتبره ابتكاراً لم يسبق إليه، والمدهش حقاً عند ابن جني أن يهتدي الى سر المقطع من خلال تصريفه لشؤون الحركات، فهو يعتبر الحركة صوتياً تتبع الحرف، فتجد بهما الصوت يتبع الحرف "وإنما يعرض هذا الصويت التابع لهذه الحروف ونحوها ما وقفت عليها، لأنك لا تنوي الأخذ في حرف غيرها، فيتمكن الصويت فيظهر؛ فأما إذا وصلت هذه الحروف ونحوها ... فإنك لا تحس معها شيئاً من الصوت كما تجده معها إذا وقفت عليها "[٢].

جهاز الصوت المتنقل:

يتحدث ابن جني عن جهاز الصوت المتنقل، أو مجموعة الأجهزة الصوتية في الحلق والفم، وسماعنا تلك الأصوات المختلفة، وذلك عند ذائقته للحرف العربي، ووجدانه الاختلاف في أجراسه، والتباين في أصدائه فشبه الحلق بالمزمار، ووصف مخارج الحروف ومدارجها بفتحات هذا المزمار، وتتوجه عنايته بمجرى الهواء في الفم عند إحداث الأصوات، ويشبهه بمراوحة الزامر أنامله على خروق الناي لسماع الأصوات المتنوعة والمتشعبة بحسب تغييره لوضع أنامله لدى فتحات المزمار، "فإذا وضع الزامر أنامله على خروق الناي المنسوقة، وراوح بين أنامله، اختلفت الأصوات، وسمع لكل منها صوت لايشبه صاحبه، فكذلك إذا قطع الصوت في الحلق والفم، باعتماد على جهات مختلفة، كان سبب استماعنا هذه الأصوات المختلفة "[١].

وكذلك تعقيبه على هذا التمثيل في إحداث الصوت بالنسبة لأوضاع أجهزة الصوت، بتشبيهه ذلك بوتر العود، وكيفية ضربه ببعض أصابع اليسرى، أو جسة في اليمنى مما يحدث أصواتاً مختلفة عند تلقي الأذن لذلك، فتتذوق من خلال ذلك جوهر الصوت، كما تتذوقه في أصوات الحروف تبعاً للرقة والصلابة في الوتر، وكذلك الحال بالنسبة للوترين الصوتيين في جهاز النطق الصوتي عند الإنسان، يقول: "ونظير ذلك أيضاً وتر العود، فإن الضارب إذا ضربه وهو مرسل سمعت له صوتاً، فإن حصر آخر الوتر ببعض أصابع يسراه، أدى صوتاً آخر، فإن أدناها قليلاً سمعت غير الإثنين، ثم كذلك كلما أدنى إصبعه من أول الوتر تشكلت لك

---

[٢] المصدر نفسه، ١/٧.

[١] المصدر نفسه، ١/٨ـ٩.

أصداء مختلفة إلا أن الصوت الذي يؤديه الوتر غفلاً غير محصور، تجده بالإضافة إلى ما أداه وهو مضغوط محصور أملس مهتزاً، ويختلف ذلك بقدر قوة الوتر وصلابته، وضعفه ورخاوته، فالوتر في هذا التمثيل كالحلق، والخفقة بالمضراب عليه كأول الصوت من أقصى الحلق، وجريان الصوت فيه غفلاً غير محصور كجريان الصوت في الألف الساكنة، وما يعترضه من الضغط والحصر بالأصابع كالذي يعرض للصوت في مخارج الحروف من المقاطع ، واختلاف الأصوات هناك كاختلافها هنا "[٢].

أستطيع القول من خلال النص المتقدم دون مبالغة أو تردد: إن هذا النص يكاد أن يكون ترجمة عصرية لرأي ابن جني في تشبيهه جهاز الصوت لدى التذبذب في إخراج الأصوات بالمزمار، الذي أصبح اليوم نقطة انطلاق الأصوات باعتباره فراغاً يحاط بالوترين الصوتين، إذ لم يكن هناك بد عند ابن جني من تلمس جهاز ملموس للاستدلال من خلاله على قضية يصعب الاستدلال عليها في عصره دون النظر إلى ذلك الجهاز، أما التشبيه الذي عاد اليوم مظنة لمساحة نطقية قرب الحنجرة، فإنه قد لون بصبغة خاضعة لعلم التشريح، وليس عصر ابن جني عصر تشريح، ولا هو بمتخصص فيه مع فرض وجود أوليات الموضوع. لذلك جاءت هذه الترجمة معبرة عن رأيه، أو كاشفة عن تخطيطه تلقائياً، وحاكية لتشبيهه تمثيلياً، والأمر المنتزع من الحس، إذ أقيم عليه الدليل الفعلي، كان مقارباً للأفهام، ومسايراً لحركة التفكير.

لقد كان ابن جني موضوعياً في صفة الجهاز المتنقل في الأصوات مما جعله في عداد المؤسسين.

ويتمرس ابن جني بعض الحقائق الصوتية، ولكنه يعرضها بحذر ويقظة، وقد ينسبها إلى بعض الناس، وما يدرينا فلعلها له لأنه من بعضهم، إلا أن له وجهة نظر قد تمنعه من التصريح بها لأسباب عقيدية، قد لا يسيغها المناخ الاجتماعي في نظره وإن كانت واقعاً.

---

[٢] المصدر نفسه، ٩/١.

فهو يتحدث عن صدى الصوت في بداية تكوين اللغة، وأثر المسموعات الصوتية في نشوء الأصوات الإنسانية، وهو ينقل ذلك عن بعضهم، ولكنه يذهب إليه باعتباره مذهباً متقبلاً، ووجهاً صالحاً للتعليل، دعماً لنظريته الصوتية التي يربط بها الأشباه والنظائر، ويحشد لها الدلائل والبراهين، فيقول: " وذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعات، كدوي الريح، وحنين الرعد، وخرير الماء، وشحيج الحمار، ونعيق الغراب، وصهيل الفرس، ونزيب الظبي ونحو ذلك، ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد. وهذا عندي وجه صالح ومذهب متقبل "[1].

فهو يربط بين الأصوات الإنسانية، وبين أصداء الطبيعة حيناً، وأصوات الكائنات الحيوانية حيناً آخر، مما هو من ظوهر الموجودات في الكون، وبين تكوين اللغات التي نشأت من هذه الأصوات في بداياتها الأولى.

وقد ذهب ابن جني مذهباً صوتياً فريداً يربط بين الصوت والفعل تارة، وبين الصوت والاسم تارة أخرى، ويبحث علاقة كل منهما بالأخر علاقة حسية ومادية متجسدة، فجرس الألفاظ ووقعها فيما يحدثه من أصوات وأصداء سمعية قد يكون متجانساً ومقارباً لنوعية عنده فيقول: " "فإن كثيرا من هذه اللغة وجدته مضاهياً بأجراس حروفه أصوات الأفعال التي عبر بها عنها، ألا تراهم قالوا: «قضم» في اليابس، وخضم في الرطب، وذلك لقوة القاف وضعف الخاء، فجعلوا الصوت الأقوى للفعل الأقوى، والصوت الأضعف للفعل الأضعف "[2].

وتجده يلائم بين الصوت اللغوي وعلاقته بصوت الطائر في الاستطالة والقطع، فالراء مرددة مكررة مستطيلة، وصوت الجندب مثلاً مستطيل، فجعلت له « صرّ » مشددة، وصوت البازي مثلاً متقطع، فقطعت الراء فكانت « صرصر » وذلك ما رآه:« وكذلك قالوا «صر

---

[1] ابن جني، **الخصائص**، ١/٩٣ـ٩٤.
[2] المصدر نفسه، ١/١١١.

الجندب » فكرروا الراء لما هناك من استطالة صوته، وقالوا « صرصر البازي » لما هناك من تقطيع صوته[1].

وفي هذا المجال فإن ابن جني لا يقف عند هذا الحد من النظرية والتطبيق، بل يربط أحياناً بين الأصوات وبين ما سمي به الشيء، نظراً لمشابهته لذلك الصوت المنطلق من التسمية، كالبط لصوته، والواق للصرد لصوته، وغاق للغراب لصوته[2].

وهو بهذا يذهب مذهب من يجد مناسبة ما بين الصوت والمعنى، لا سيما عند البلاغيين في إلتماس علاقة اللفظ بالمعنى، أو في الدلالة الحسية للفظ بالمعنى، وهو من باب تسمية الشيء باسم صوته، وتلك مقولة صحيحة في جملة من الأبعاد، وحقيقة في كثير من المسميات والتسميات.

وابن جني يؤكد هذه الحقيقة في المفردات اللغوية، ليعطيها صفة صوتية متمازجة، فالعرب " قد يضيفون إلى اختيار الحروف وتشبيه أصواتها بالأحداث المعبر عنها بها ترتيبها، وتقديم ما يضاهي أول الحديث، وتأخير ما يضاهي آخره، وتوسيط ما يضاهي أوسطه، سوقاً للحروف على سمت المعنى المقصود والغرض المطلوب.

وذلك كقولهم: «بحث»، فالباء لغلظها تشبه بصوتها خفقة الكف على الأرض، والحاء لصلحها تشبه مخالب الأسد وبراثن الذئب ونحوهما إذا غارت في الأرض، والثاء للنفث، والبث للتراب "[3].

هذه جولة قد تكون نافعة فيما أوجده لنا ابن جني من تأصيل صوتي لكثير من الملامح والخصائص والمكتشفات.

---

[1] المصدر نفسه، ١/١١١.

[2] المصدر نفسه، ٢/١٦٢.

[3] المصدر نفسه، ٢/١٦٠.

الخاتمة:ـــ

بعد هذه الجولة الفسيحة من البحث والتنقيب والإطلاع، يجدر بي في خاتمة المطـــاف أن أضع أبرز النتائج والكشوفات العلمية التي يسرها البحث.

فقد كان الفصل الأول بعنوان: نشأة ابن جني وعصره. وقد بحثت فيه:

اسمه، ونسبه، حيث كان أبيه عبداً رمياً. وموطنه، وولادته بالموصل واختلاف المؤرخين في سنة ولادته. ووفاته ببغداد. وصفاته الخلقية، وسماته الجسمية، حيث كان أعور، وفي لســانه لكنة لمكانه من العجمة من جهة أبيه. وأساتذته وتلاميذه. وصحبته لكل من شـيخه أبــي علــي الفارسي أربعين سنة. وصحبته للمتنبي دهراً طويلاً، واستشهاده بشعره في المعــاني، وشــرحه لديوانه. ومذهبه الفقهي المذهب الحنفي. وكذلك مذهبه النحوي مذهب أهل البصــرة. ومعرفــة العصر الذي عاش فيه، والحالة العلمية حينئذٍ. ومكانته العلمية. وإسهاماته في خدمة اللغة العربية وأقوال العلماء والأدباء عنه. وكذلك أدبه، وشعره، وأهم مؤلفاته.

والفصل الثاني بعنوان: الأصول المعتمدة في الدرس اللغوي عند ابن جنــي وفيــه ثلاثــة مباحث: السماع، والقياس، والتعليل، وبحثت في المبحث الأول السماع وتعريفه لغة واصطلاحاً، وتبين من خلال الدراسة بأن السماع هو الأصل الأول من أصول النحو العربي وهو المدرك من الأصوات بالآلة المحسوسة، ويراد به هنا ما ثبت في كلام من يوثــق بفصــاحته. واتضــح أن السماع ينقسم إلى مطرد وشاذ، وأضربهما أربعة، مطرد في القياس والاستعمال معاً، ومطرد في القياس شاذ في الاستعمال، ومطرد في الاستعمال شاذ في القياس، وشاذ في القياس والاســتعمال معاً. وأن للسماع أهمية كبيرة في تنمية ملكة الفرد اللغوية التي يكتسبها مــن أفــراد مجتمعــه. ووجوب الأخذ بلغة العربي الفصيح الذي انتقل لسانه من لغته إلى لغة أخرى فصيحة. واعتمــاد ابن جني النطق بالمسموع على ما جاء عليه، وعدم القياس في حــال تعارضــهما. وأن أكثــر اللغات استعمالاً هي اللغة الحجازية، كونها لغة القرآن وكثرت في النظم والنثر.

واتضح في المبحث الثاني أن القياس هو التقدير، وأن أركانه أربعة: المقيس عليــه وهــو الأصل المعلوم، والمقيس وهو الفرع المجهول، وهو ما كان محمولاً على كلام العرب، والشــبه أو العلاقة أو العلة الجامعة بين الأصل والفرع، والحكم وهو ما يكتسبه الفرع من الأصــل. وأن مقاييس العربية عند ابن جني ضربان: أحدهما: معنوي. والآخر لفظي. والقياس المعنــوي هــو الأقوى والأوسع. وأقسام القياس أربعة هي: حمل الفرع على الأصــل، وحمــل الأصــل علــى الفرع، وحمل نظير على نظير، وحمل ضد على ضد. وأن ما قيس على كلام العرب فهو مــن

كلام العرب. وأن اللغات على اختلافها كلها حجة. واللغة لا تؤخذ جميعها بالقياس وأن ابن جني زعيم مدرسة القياس.

والمبحث الثالث: التعليل ومفهومه في اللغة: سقي بعد سقي، وجني الثمرة مرة بعد أخرى. والعلة: المرض. وفي الاصطلاح: العلة في النحو هي الوصف الذي يكون مظنة وجه الحكمة في اتخاذ الحكم. والتعليل في النحو تفسير اقتراني يفسر أحكام النحو وظواهره وفق ثنائية العلة والمعلول. وأفضت الدراسة إلى أن علل النحو على ثلاثة أضرب عند الزجاجي، علل تعليمية، وعلل قياسية، وعلل جدلية نظرية. وعلى ضربين عند ابن جني، أحدهما واجب لا بد منه، لأن النفس لا تطيق في معناه غيره، والآخر ما يمكن تحمله، إلا أنه على تجشم واستكراه له. وعند السيوطي صنفان، علّة تطّرد على كلام العرب وتنساق على قانون لغتهم، وعلّة تظهر حكمتهم، وتكشف عن صحة أغراضهم ومقاصدهم في موضوعاتهم. وأن العلة واسعة الشعب، وبذلك فإن العلل تتكاثر تكاثراً امتدادياً. وتبين من خلال الدراسة أيضاً أن ابن جني قد اهتم اهتماماً ظاهراً بأمر التعليل النحوي، وأظهر حماسة لا نظير لها في الدفاع عنه، فقد وقف أمام علل النحو وقفة طويلة يدرس ويصف، ويحلل ويصنّف فأتى من ذلك بما لم يسبق إليه من قبل وما لم يلحق فيه من بعد. فهو ذروة القياس وفلسفته، وأعلى علماء العربية كعباً في جميع عصورها، وأغوصهم عامة على أسرار العربية، وأنجحهم في الاهتداء إلى النظريات العامة فيها. وأن علل النحويين أعلى رتبة من علل المتفقهين وإن تأخرت عن علل المتكلمين. وأن العلة النحوية ليست مطلقة بل هي مقيدة بالوصف أو بالتخصيص، وإلا تخلفت في بعض المواضع عن معلولها، وقصرت عن الجري معه على نهج واحد. وتبين أيضاً من الدراسة أن ابن جني كان سابقاً لابن مضاء القرطبي في حملته على العلل الثواني وما بعدها، فابن جني يعد من أوائل النحاة الذين أنكروا هذا الإسفاف في التعليل والإلحاح في تتبع العلل. وخلصت الدراسة إلى أن ابن جني كان ذا عقلية تعليلية تحليلية مبتكرة، فهو أول من أراد تأليف أصول النحو على مذهب أصول الفقه والكلام، ولذلك جعل علل النحويين أقرب إلى علل المتكلمين منها إلى علل المتفقهين.

أما ما نتجت عنه الدراسة في الفصل الثالث مباحث في اللغة والنحو والتصريف، ففي المبحث الأول تعريف النحو عند ابن جني والتفريق بين النحو والإعراب، النحو لغة هو الطريق، أو الجهة، واستعملته العرب ظرفاً وأصله المصدر، وعرفه ابن جني بأنه انتحاء سمت كلام العرب، في تصرفه من إعراب وغيره، كالتثنية، والجمع، والتحقير، والتكسير والإضافة، والنسب، والتركيب، وغير ذلك؛ ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة فينطق بها وإن لم يكن منهم، وإن شذ بعضهم عنها رد به إليها. والإعراب لغة: " مصدر «أعربت

عن الشيء» إذا أوضحت عنه. وعرفه ابن جني بأنه الإبانة عن المعاني بالألفاظ. وخلصت الدراسة إلى أن النحو ليس الإعراب، بل هو أشمل منه.

وفي المبحث الثاني علل التثنية، تبين من خلال الدراسة أن ابن جني قد اختار في شرحه لعلل التثنية رأي سيبويه، لكونه أقوى الأقوال في هذه المسألة. وبدأ بذكر الأدلة التي توثق قول سيبويه، ثم دفع الأقوال التي يمكن أن ترد على هذا القول، ثم أفسد الآراء المخالفة له الواحد تلو الآخر، وهو في كل موضع نراه الرجل الناقد الدقيق المنصف غير المتعصب. وأن ابن جني في شرحه لعلل التثنية اعتمد على الأدلة الموضوعة، واعتمد في تعليل القواعد والأحكام على التعليلات التعليمية المباشرة.

والمبحث الثالث الاشتقاق، أوضحت الدراسة أن الاشتقاق اقتطاع فرع من أصل. وأنه نزع لفظ من آخر بشرط تناسبهما معنى وتركيباً، وتغايرهما في الصيغة بحرف أو بحركة، وأن يزيد المشتق على المشتق منه بشيء. وأن أول من ألف في الاشتقاق الأصمعي. وأن أصل اللغات المصدر عند البصريين، والكوفيون يرون أن المصدر مشتق من الفعل. وأن الاشتقاق ثلاثة أنواع هي: الاشتقاق الصغير/ العام، والاشتقاق الكبير وهو الإبدال، والاشتقاق الأكبر وهو الاشتقاق التقليبي، وعند ابن جني الاشتقاق نوعان: صغير وكبير. وأن صاحب تسمية الاشتقاق الأكبر هو ابن جني. وأن الاشتقاق الأكبر لا يطرد في كل ألفاظ اللغة. وخلصت الدراسة إلى أنه لا يمكن الاشتقاق من الكلمات التي تتكون من أقل من ثلاثة أحرف.

والمبحث الرابع الأصوات، أفضت فيه الدراسة إلى تعريف الصوت لغة الجرس ولغوياً عرض يخرج مع النفس مستطيلاً متصلاً حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته ، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفاً، وتختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها. وأن الصوت بوصفه لغوياً يعني تتبع الظواهر الصوتية لحروف المعجم العربي، وذلك من حيث مخارج الأصوات ومدارجها، وأقسامها وأصنافها، وأحكامها وعللها، ودلائلها وخصائصها في أحوال الجهر والهمس، والشدة والرخاوة، وملامح صوائتها وصوامتها في السكون وعند الحركة، وضوابطها في الإطباق والانفتاح. وأن اللغويين العرب هم من أرسى ركائز الصوت اللغوي، والتوصل إلى النتائج التي تواضعت عليها اليوم حركة الأصواتيين العالمية. وأن ابن جني أول من استعمل مصطلحاً لغوياً للدلالة على هذا العلم ما زلنا نستعمله حتى الآن وهو علم الأصوات. وأن ابن جني قد تتبع الحروف من مخارجها وترتيبها على

مقاطع، وإضافته ستة أحرف مستحسنة بأصواتها إلى حروف المعجم ، وثمانية أحــرف فرعيــة مستقبحة بأصواتها، وحصر مخارج الحروف في ستة عشر مخرجاً تشريحياً منظراً له بأمثلته.

فهذه أهم النتائج في مفردات البحث، عسى أن يكون لنا ذخراً يوم الدين، يوم يقوم النــاس لرب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين، وأصحابه الغر المحجلــين، وسلم تسليماً كثيراً.

قائمة المراجع

١. ابن جني، أبو الفتح عثمان، (٢٠٠٧م)، **الخصائص**، (د.ط)، القاهرة: دار الحديث.

٢. ابن جني، أبو الفتح عثمان، (١٩٨٥م)، **سر صناعة الإعراب**، (ط١)، دمشق: دار القلم.

٣. ابن جني، أبو الفتح عثمان، (١٩٩٢م)، **علل التثنية**، (ط١)، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.

٤. ابن جني، أبو الفتح عثمان،(١٩٧٢م)، **اللمع في العربية**، (د.ط)، الكويت: دار الكتب الثقافية.

٥. ابن خلدون، عبد الرحمن، (١٩٩٢م)، **تأريخ ابن خلدون**، (ط١)،(ج١)، بيروت: دار الكتب العلمية.

٦. ابن خلكان، أحمد بن محمد، (١٩٧٧م)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، (د.ط)، (ج٣) بيروت: دار الثقافة.

٧. ابن منظور، محمد بن مكرم، (١٩٩٥م)، **لسان العرب**، (ط١)، (ج٩،ج١١)، بيروت: دار إحياء التراث.

٨. ابن منظور، (د.ت)، **لسان العرب**، (ط١)، (ج٢)، بيروت: دار صادر.

٩. الباخرزي، علي بن الحسن، **دمية القصر**.

١٠. الثعالبي، أبو منصور عبد الملك، (١٩٨٣م)، **يتيمة الدهر**، (ط١)، (ج١)، بيروت: دار الكتب العلمية.

١١. الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن، (١٩٨٧م)، **المفتاح في الصرف**، (ط١)، بيروت: مؤسسة الرسالة.

١٢. الجرجاني، علي بن محمد، (١٤٠٥هـ)، **التعريفات**، (ط١)، بيروت: دار الكتاب العربي.

١٣. الجوهري، إسماعيل بن حماد، (١٩٨٧م)، **الصحاح**، (د.ط)، بيروت: دار العلم للملايين.

١٤. الحموي، ياقوت، (د.ت)، **معجم الأدباء**، (د.ط)، (ج١٢)، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

١٥. الدمشقي، أبو الفداء إسماعيل، (١٩٩٨م)، **البداية والنهاية**، (ط ١)، (ج١١)، القاهرة: دار الفجر للتراث.

١٦. الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد،(د.ت)،**العبر في خبر من غبر**،(د.ط)، (ج٢)، بيروت: دار الكتب العلمية.

١٧. الراغب، الحسين بن محمد، (د.ت)، **المفردات في غريب القرآن**، (د.ط)، (ج١)، لبنان: دار المعرفة.

١٨. الزبيدي، محمد بن محمد،(د.ت)، **تاج العروس من جـواهر القـاموس**،(د.ط)، (ج٤٠)، (د.م)، دار الهداية.

١٩. الزجاجي، أبو القاسم، (١٩٨٦م)، **الإيضاح في علل النحو**، (ط٥)، بيروت:دار النفائس.

٢٠. السبكي، علي بن عبد الكافي، (١٤٠٤هـ)، **الإبهاج في شـرح المنهـاج**،(ط١)، (ج١)، بيروت: دار الكتب العلمية.

٢١. السيوطي، جلال الدين، عبد الرحمن، (١٩٩٨م)، **الاقتراح فـي أصـول النحـو**، (ط١)، بيروت: دار الكتب العلمية.

٢٢. السيوطي،جلال الدين عبدالرحمن، (د.ت)، **بغية الوعاة في طبقـات اللغـويين والنحـاة**، (د.ط)، (ج٢)، بيروت : المكتبة العصرية.

٢٣. شاهين، عبد الصبور،(١٩٨٧م)،**أثر القراءات في الأصـوات والنحـو العربـي**، (د.ط)، القاهرة: مكتبة الخانجي.

٢٤. الشربيني، شريدة، (٢٠٠٧م)، **مقدمة الخصائص**، (د.ط)، القاهرة: دار الحديث.

٢٥. العكبري، أبو البقاء، (١٩٩٢م)، **مسائل خلافية في النحو**، (ط١)، بيـروت: دار الشـرق العربي.

٢٦. عمر، أحمد مختار، (١٩٨٢م)، **البحث اللغوي عند العرب**، (ط٤)، القاهرة: عالم الكتب.

٢٧. الفراهيدي، الخليل بن أحمد، (د.ت)، **كتاب العين**، (د.ط)،(ج٧)، (د.م)، دار مكتبة الهلال.

٢٨. القرطبي، ابن مضاء، (١٩٨٢م)، **الرد على النحاة**، (ط٢)، مصر: دار المعارف.

٢٩. المبارك، مازن، (١٩٦٥)، **النحو العربي**، (ط١)، بيروت: دار الحضارة.

٣٠. مصطفى، إبراهيم وآخرون، (د.ت)، **المعجم الوسيط**، (د.ط)، (ج١)، (د.م)، دار الدعوة.

٣١. الملخ، حسن خميس، (٢٠٠٠)، **نظرية التعليل النحوي**، (ط١)، عمّان: دار الشروق.

٣٢. وزارة الأوقاف، (١٤٠٤ـ١٤٢٧هـ)، **الموسوعة الفقهيـة الكويتيـة**، (ط١)، (ج٢٥)، مصر: دار الصفوة.

٣٣. اليحصبي، عياض بن موسى، (١٩٧٠م)، **الإلماع**، (ط١)، (ج١)، القـاهرة/ تـونس: دار التراث/ المكتبة العتيقة.